جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي

معهد العلوم الاسلامية

قسم : أصول الدين

الشيخ محمد عبده و جهوده الدعوية و الاصلاحية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس نظام (ل.م.د) في العلوم الاسلامية – تخصص: دعوة وثقافة اسلامية

إعداد الطالبات:

- إكرام تيوه
- شيماء خالدي
- فاطمة قدة
- مريم تجاني

الأستاذ المشرف:

اسماعيل عريف

السنة الجامعية: 1440/1439 هـ - 2019/2018 م

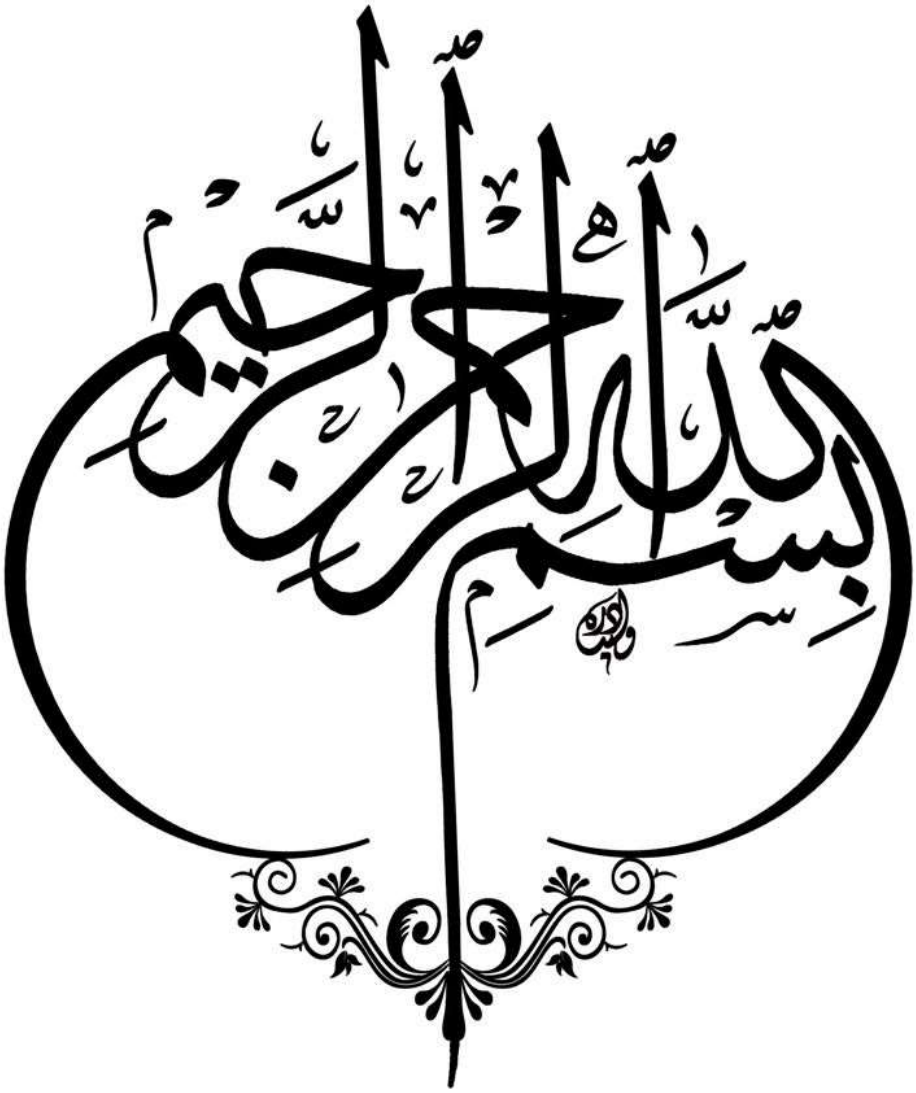
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله العلي القدير الذي أنار لنا درب العلم بنور عقولنا ومعرفتنا ويسر لنا أداء هذا العمل المتواضع ونسأله النجاح المتواصل لنا ولجميع من اتخذ من العلم سلاحا .

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل المتواضع خاصة الأستاذ المشرف إسماعيل عريف الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة طيلة انجاز هذا العمل .

إلى كل من علمنا حرفا طيلة مشوارنا الدراسي ،وساهم

في تعليمنا أصول الحياة .

ملخص الدراسة:

تناول هذا البحث الجهود الدعوية والإصلاحية لمحمد عبده وأيضا قمنا بدراسة حياة محمد عبده وقد جاء كل هذا في ثلاث مباحث كان أولها سيرته الذاتية وحياته العلمية والعملية وأثاره ، بينما المبحث الثاني تضمن الفتاوى والممارسات الدينية وتفسير القران الكريم والأديان الأخرى وإنشاء الجامعة الإسلامية ، وخصصنا المبحث الأخير في مواقفه وقضاياه الإصلاحية منها إصلاح الأزهر التربية وتعليم وإصلاح أوضاع المرأة والإصلاح الاجتماعي وسياسي واللغة ومواقفه من الثورة العربية والعقل ونقل والتقليد وإصلاح الكتاتيب والمدارس الاميرية.

Abstract:

This research dealt with the efforts of reform and reform of muhammad abdu , and we also studied the life of Muhammad abdu , all of this came in three fields , the first being his biography , his scientific and practical life , and his effects.

While the secand section includes fatwas and religious practices and interpretation of the Koran and other religions and the establishment of the Islamic university and devoted the last subject in its positions and issues reform of al-azhar education reform of women's conditions and social reform , political , language and attitudes of the arab revolution , mind and transportation and the tradition and reform of schools and schools amiri .

مـــقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمان الرحيم الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ليقوم الناس بالقسط وشرع الأحكام وأنقذنا بنور الفتيا من ظلمات الجهل وظلال إلى نور علمه وبصيرته ،وصلاة وسلام على من أناط الله به تفصيل الكتاب ببيان العقائد والأحكام ، فكان أول من قام بمهام الإفتاء هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وعلى اله وأصحابه الذين دربهم على الإفتاء والاجتهاد حتى دارت الفتيا بعده على أقوالهم بين العباد رضوان الله عليهم أجمعين ، أما بعد:

ومن العباد الذين حملوا هذه الفتيا نذكر : عبد الرحمان الكواكبي ،رفاعة الطهطاوي ،علي مبارك، عبد الله النديم ،احمد عرابي ،قاسم أمين ،محمود سامي البارودي، جمال الدين الأفغاني محمد عبده ... ،هذا الأخير هو موضوع دراستنا، حيث كانت دراسة شخصيته من أهم الموضوعات التي تتطلب الدقة والموضوعية في المعطيات المعرفية لطبيعة أعمال ومسيرة هذه الشخصية ، لا سيما مبادئه ومحطات مواقفه التي تعتبر من أهم المؤثرات في الحركة التاريخية في أي مجتمع من المجتمعات .

وبدوره عانى محمد عبده كما عانى الشعب المصري في أواخر حكم الخديون إسماعيل من سوء الأحوال المالية والاقتصادية ،حيث بلغت ديون مصر في نهاية عهده واحد وتسعون مليون جنيها ،مما أدى إلى التدخل الأجنبي في شؤون مصر الداخلية ،وقسى الشعب المصري في وطنه إلى مواطن من الدرجة الثانية لا يستطيع التصدي للزحف الأجنبي والنهوض بالبلاد كي تدخل فعلا عصر النهضة والتقدم ،وكان ذلك ثمرة طبيعية للحكم الاستبدادي الجاهل الذي ران عليها قرابة نصف قرن تحت ظل سياسة التتريك الملكية، ونتيجة لذلك انبثت في مصر اتجاهات دعوية و إصلاحية كانت تهدف إلى الارتقاء بالبلاد وتجديد حياتها وتحرير طاقتها ،غير أنها اختلفت في سبيل تحقيق هذا الهدف ،ومن بين هذه الاتجاهات الاتجاه الدعوي الذي

كان يفتي فيه محمد عبده ويلقي من خلاله الخطب في سبيل الدعوة الإسلامية وإصلاح الدين الإسلامي من كل نواحي ،وكذلك الاتجاه الإصلاحي الذي تزعمه ورأى فيه أن النهوض بالأمة يجب أن يتم بأساليب التربية والصلاح الاجتماعي بدلا من طريق الثورة والنضال المسلح ،وانه ينبغي تثقيف الشعب وتنويره قبل أن يطالب بالدستور .

وأما اختيارنا لدراسة شخصية محمد عبده لأنه لعب دورا هاما في مجال الدعوة والإصلاح وارتقاء الفكر العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،ولقد حاولنا في هذه الرسالة الوقوف عند كل حركة أو مبدأ أو منهج اتبعه محمد عبده في مسيرته النضالية بمصر وخارجها منذ ولادته سنة 1849م إلى تاريخ وفاته في 11جويلية 1905م،لان حياته كانت كلها جهادا ونضالا حقيقيا .

وفي هذه الأطوار المختلفة في مسيرة محمد عبده يجد الباحث أعمالا ومواقف ،أراء ونظريات على مستوى الإصلاح الديني أو على صعيد التجديد الاجتماعي ،أو في مجال الحفاظ اللغة العربية وإعادتها إلى مكانها الطبيعي ، أما فيما يخص دراسة الإعلام وتتبع جهودهم فلها أهمية كبيرة في الحفاظ على رصيدهم النضالي ونصرة الحق ورد الظلم لكي تقتفي الأجيال اللاحقة أثارهم ، ولكي لا تضيع الأعمال التي ناضل وكد من اجلها أولئك العظماء من امتنا الذين يعتبرون المنارات المضيئة التي يحاول البعض إطفاءها ،ومن تلك الشخصيات المضيئة محمد عبده الذي تمكن أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج شخصيته التي لها إسهامات في الإصلاح والدعوة ، وتصدي لمروجي البدع والخرافات ، كما كان لها بالغ الأثر في التمهيد لأفكار الثورية عن طريق التربية والتعليم وذلك بإزالة الاستعمار الانجليزي من العقول أولا ، ثم مواجهته على ارض الواقع ثانيا .

وفي سياق هذه الإشكالية نطرح التساؤلات الآتية :

-ما هي أوضاع مصر في عصر محمد عبده ؟

- من هو محمد عبده ؟ وما هي أهم مواقفه من قضايا عصره ؟ وما هي افكاره الإصلاحية ودعوية ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت الموضوع الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تناولنا في المقدمة عرضا للموضوع من جوانبه المختلفة ،ثم تعرضنا للمبحث الأول لحياة محمد عبده ،وانطوى تحته خمسة مطالب كشفت عن حياته العلمية والعملية، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه لأهم الجهود الدعوية لمحمد عبده التي من بينها فتاويه، جهوده في الممارسات الدينية، تفسير القرآن الكريم، الأديان الأخرى ، إنشاء الجامعة الإسلامية، وأخيرا المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى جهوده الإصلاحية لمحمد عبده التي من بينها إصلاح الأزهر، التربية والتعليم، قضية المرأة وإصلاح أوضاعها ،الإصلاح السياسي والاجتماعي، إصلاح اللغة، إصلاح الكتاتيب والمدارس الأميرية، موقفه من أفكار جمال الدين الأفغاني، الثورة العربية ، العقل والنقل، التقليد وأوجزنا في الخاتمة أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال دراسة شخصية محمد عبده.

حدد هذا الموضوع منهجه المتبع في دراسة هذه الشخصية، إذا فرض المنهج التاريخي وجوده ،فبحكم طبيعة الموضوع كان لزاما علينا اعتماد هذا المنهج لتقرير أحداث ووقائع تاريخية بحتة ووصفها وتصنيفها حسب الميادين والمجالات، كما أننا اعتمدنا على المنهج الوصفي الملائم لوصف شخصية محمد عبده.

وقد استأنسنا في هذا العمل بعض المصادر والمراجع الأساسية التي كان حضورها قويا ومكثفا في هذا البحث والتي وفرت لنا المادة الخبرية لعل أهمها:

جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى.

محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده.

محمد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته في تطوير العلم.

وان كان لا بد من ذكر الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذه الدراسة، فلعل أهمها صعوبة التنسيق بين المصادر والمراجع التي تحتوي على معلومات متشابهة ومتداخلة فيما بينها مما يصعب علينا التنسيق والترتيب لإيجاد معلومات متتالية ومترابطة تمكننا من الفهم .

وفي ختام هذا الموضوع نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا العمل الذي كان محتواه دراسة الجهود الدعوية والإصلاحية لمحمد عبده ، والتطرق لأهم مواقفه.

ولا يسعنا في النهاية إلا أن نشكر أستاذنا ومشرفنا إسماعيل عريف على رحابة صدره، فقد كان معاونا لنا في إنجاز هذا البحث، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

سيرة الشيخ محمد عبده

المطلب الأول: عصره

المطلب الثاني: مولده ونشأته

المطلب الثالث: حياته العلمية

المطلب الرابع: حياته العملية

المطلب الخامس: وفاته وأثاره

المبحث الأول: سيرة الشيخ محمد عبده

إن هذه الصفحات القليلة ليست تعريفا مجملا لحياة محمد عبده ،وإنما الأمر الذي نحن بصدده هو تقديم لمحة عن حياته مراعين في ذلك أهم المسارات التي مرا بها وشكلت نقطة انعطاف من قريب أو بعيد في حياته ، وبطاقته الحياتية تشمل ما يلي :

المطلب الأول: عصره

يتأثر الفكر السائد لأي مفكر بواقع العصر الذي يعيش فيه ،فمن خلاله ينمو هذا الفكر، ويزدهر أصوله، ويتألق رجاله في حياتهم العقلية والوجدانية.

فطبيعة فكر الأستاذ الإمام محمد عبده بوجه عام لم يظهر اعتباطا وإنما ظهر نتيجة تأثير ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وثقافية شهدها المجتمع إن ذاك وهي كما يلي :[1]

الفرع الأول: واقع الحياة الاجتماعية

تميزت الحياة الاجتماعية في عصر الإمام محمد عبده بوجود تفاوت كبير في البناء الطبقي حيث كان على قمة هذه الطبقات كبار ملاك الأراضي و التي كانت تملك9،43 من جملة الأراضي الزراعية ، وقد اعتبرت الطبقة المؤهلة لحكم المجتمع واحتلوا اغلب المجالس النيابية التي عرفتها مصر سنة 1866،وكان منهم النظام والمديرون ورؤساء المحاكم ، كما تميزت أفراد هذه الطبقة بالمحافظة والخشية من أي تغيير اجتماعي ، وفي ظل الاحتلال قبلت هذه الطبقة الحكم الانجليزي لما وفره لها من رخاء وأمن .

أما الطبقة الوسطى فقد مثلها فئتان : فئة المثقفين التي تشمل الموظفين وأصحاب المهن الحرة ، وقد نشأت هذه الطبقة في عهد محمد علي اثري إنشاء نظام التعليم الحديث و دراسة التلاميذ للعلوم الحديثة و اللغات الأجنبية .

أما الفئة الأخرى فهي تمثل التجار وأصحاب الورش الصناعية الصغيرة .

[1]– محمد فوزي عبد المقصود – الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده والياته في تطوير التعليم – ص 29–30

وتمثل الطبقة الثالثة عامة الشعب من عمال وفلاحين ، وقد حاول الاحتلال البريطاني كسب مهانة الفلاحين بصفة عامة بانخفاض مستوى المعيشة وانتشار الأمية بينهم بشكل ساحق .أما الطبقة الرابعة تتمثل في الطوائف الأجنبية التي تمثلت في الأوروبيين الذين ازداد تدفقهم في عهد سعيد وإسماعيل نتيجة الامتيازات وتملك الأراضي الزراعية و البيوت و المباني التي كانت معفاة من الضرائب ، كما شغل عدد كبيرا من الوظائف الأخرى .

وقد انحطت أحوال المرأة خاصة في الطبقات الفقيرة ، وكان الرجل هو الحاكم بأمره ونهيه ولم يكن للمرأة إلا الطاعة و الخدمة اليومية و الحمل و الولادة وخاصة في الريف وعند الكادحين.[1]

الفرع الثاني : واقع الحياة السياسية

كان أهم ما يميز تلك الفترة ظهور النزعة القومية قبل عهد الاحتلال البريطاني بمصر في عهد سعيد ، وقد ساعد على ذلك دخول أبناء الفلاحين في الجيش ووصول بعضهم إلى المناصب الكبيرة في الإدارة المدنية مثل رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك ومحمود الفلكي .

غير أن الحركة القومية بدأت تظهر بوضوح خلال عهد إسماعيل حيث طالبت من جهة بحقوق الشعب السياسية ومنع التدخل الأجنبي والاحتفاظ باستقلال البلاد من جهة أخرى ، وبدأت البلاد تشهد نظاما دستوريا حيث أقام إسماعيل مجلس شوري النواب سنة 1866 بالرغم أن رأيه كان استشاريا إلا انه كان لاتجاهاته الوطنية التي تجلت في التعليم الشعبي ومواجهة التدخل الأجنبي، وكتب الإمام في تلك الفترة عدة مقالات تتعلق بأهمية الشورى في الحكم ومقاومة التدخل الأجنبي التي تتمثل في الرقابة المالية الأجنبية على مصر نتيجة الأزمة المالية ، وانتهى الأمر بعزل إسماعيل .

[1]– محمد فوزي عبد المقصود – المرجع السابق – ص32–33.

زادت الحركة القومية اشتعالا في عصر توفيق الذي عطل الحياة النيابية ، وقوية في الثلاث السنوات الأولى من حكمه ثلاث حركات متشابكة ، حركة الذين رأوا عن شعور وطني في خضوعه لنفوذ أوروبا ، وحركة الذين كانوا عن مبدأ أو مصلحة يريدون إحلال الحكم الدستوري محل الحكم المطلق ، وحركة الضباط المصريين الذين أرادوا القضاء على سيطرة الضباط الأتراك الشراكسة على الجيش ، ولقد أيدته السياسة البريطانية الفرنسية إلى صهر هذه الحركات تدريجيا في حركة واحدة هي الثورة العربية التي طالبت بعزل وزارة رياض المستبدة ، وزيادة عدد الجيش الى18000جندي وتأليف مجلس نيابي ،وانظم الإمام محمد عبده إلى الثورة العربية وطالب من خلال مقالته في صحيفة الأهرام بإعادة الحياة النيابية وإعطاء الحق للمجلس الشورى ووضع حد لتدخل الأجنبي مما أدى بالخديوي توفيق إلى إقرار دستورسنة1882م الذي أعاد الحياة النيابية وإعطاء الحق لمجلس الشورى وتقرير ميزانية الدولة ، غير أن انجلترا وفرنسا اعتبرتا الثورة العربية خطرا على مصالحهما وانتهى الأمر باحتلال مصر سنة 1882م .

وباحتلال انجلترا لمصر هيمن المعتمد لبريطاني على مقاليد الحكم في مصر حيث تم صبغ الإدارة المصرية بالصبغة الانجليزية ، واضعف الجيش المصري الذي لم يزد عدده عن ستة ألف جندي ، ووضعت انجلترا نظام بدل النقدي ، وبذلك حرمت البلاد من روح الجندية ومحاربة الانجليز للوحدة الوطنية وتم تقييد حرية الصحافة وعدم السماح لها بالمساس للاحتلال.

ومن الطبيعي أن يتأثر التعليم بأحوال مصر السياسية في تلك الفترة حيث كانت ابرز خصائصه المركزية الشديدة وجعل اللغة الانجليزية لغة التعليم الرسمية وتشكيل المناهج التعليمية لتلائم أغراض الاحتلال.[1]

[1]– محمد فوزي عبد المقصود – المرجع السابق – ص30–31.

الفرع الثالث : واقع الحياة الاقتصادية

لم يتميز عصر عباس وسعيد من الوجهة الاقتصادية إلا بإنشاء خطين للسكك الحديدية من القاهرة إلى كل من الإسكندرية والسويس ،والبدء في حفر قناة السويس ، وقد اهتمت انجلترا بالمشروع الأول لتسهيل مواصلاتها بين الشرق والغرب ، وتولت فرنسا تنفيذ المشروع الثاني وتطلعت إلى السيطرة على مصر من جديد بعد فشل محاولة نابليون سنة 1798م.
وفي عهد سعيد تم إلغاء نظام الاحتكار وأعيدت الأراضي إلى الفلاحين المصريين .

وفي عصر إسماعيل حدث توسع في عدد مساحة الأراضي الزراعية حيث بلغت مساحتها 5مليون فدلنا نتيجة اهتمامه بمشروعات الري وشق الترع مثل ترعتي الإبراهيمية والإسماعيلية ،وبدأت مصر تجني أرباحا طائلة في بداية عصر إسماعيل بسبب اختفاء القطن الأمريكي من الأسواق لقيام الحرب الأهلية في أمريكا ، كما استعادا من المصانع ومد خطوط السكك الحديدية ، غير أن تلك الإصلاحات الاقتصادية ضاعت قيمتها نتيجة تراكم الديون على مصر واستفحال الأزمة المالية بسبب التبذير إسماعيل في إنفاق الأموال على ملذاته ورحلاته في أوروبا وإسرافه في منح الهدايا ورشاوي للباب العالي ، فضلا عن نفقات حفر القناة التي وصلت إلى 16.8مليون جنيها، ونفقات حفلة افتتاح القناة التي وصلت إلى 1.4مليون جنيها ،الأمر الذي أدى إلى وصول ديون مصر في عهده إلى 91مليون جنيها مما أدى إلى بيع أسهم قناة السويس بأبخس الأثمان ، وبدا التدخل الأجنبي بسلسلة من الإجراءات تمثلت في إرسال بعثة كيف ، ثم إنشاء صندوق الدين ، ووضع نظام المراقبة الثنائية ،وتأليف وزارات بها وزيران أجنبيان احدهما انجليزي للمالية والأخر فرنسي للأشغال وانتهى الأمر باحتلال انجلترا لمصر سنة 1882.

وباحتلال انجلترا لمصر تميزت ملامح الاقتصاد المصري بالسيطرة الأجنبية على النشاط المالي وزيادة رؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة في مصر ،وكثرة البنوك الأجنبية ،وتخصص الزراعي

وتأخر الصناعة والتبعية التجارية لإنجلترا ،وانخفاض مستوى دخل الفرد المصري حيث لم يزد متوسطة خلال فترة الاحتلال عن 30 جنيها سنويا ، فضلا عن انتشار البطالة حيث بلغت نسبتها أكثر من 50%وترتب على ذلك كثرة الجرائم بأنواعها من سرقة وتسول وفساد وتزوير وغش .[1]

الفرع الرابع: واقع الحياة الفكرية

إذا كانت مصر خلال عصر الإمام محمد عبده قد شهدت تدهورا كبيرا في أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية فان هذه الفترة تميزت بالبعث الثقافي والتنوير الفكري فقد شهدت هذه المرحلة حركة بعث وإحياء الثقافة العربية القديمة مع انفتاح على الثقافة الأوربية الحديثة ، كما حدث تحول في الأفكار ووعي متزايد لدى قطاع من المتعلمين والمثقفين بمشاكل مجتمعهم .

وترجع مظاهر التطور الفكري بمصر إلى عدة عوامل مختلفة أهمها :

– أولا : نشأة التعليم الحديث على يد محمد علي الذي جعل هدفه منه خدمة الجيش وتخريج الموظفين اللازمين لبناء الدولة الحديثة .

– ثانيا : ازدهار الحركة التعليمية من جديد في عصر إسماعيل وخاصة في الفترة الأولى من حكمه ، فقد أعيد إنشاء ديوان المدارس سنة 1863ليشرف على التعليم ويرعاه .

– ثالثا : حيث ترتب على ذلك زيادة إعداد الطلبة وأصبحت الغالبية المطلقة منهم من أبناء المصريين كما زاد عدد الكتاتيب في القرى حتى بلغ عددها في سنة 1878الى (5370مكتبا)، وامتدت النهضة التعليمية إلى ميدان العلوم النظرية بعد كانت مقتصرة على العلوم الطبيعية

[1]– محمد فوزي عبد المقصود – المرجع السابق – ص31.

وحدها ،فأسست مدرسة الإدارة لتدريس القانون سنة 1868،كما كثر عدد المدارس الأجنبية حتى بلغ عددها 70 مدرسة .

وأعاد إسماعيل إلى البعثات اعتبارها بعد أن قلت وتضاءلت حيث بلغ عدد أفرادها 172 مبعوثا اتجه معظمهم إلى فرنسا ولئن تميز النصف الأول من القرن 19بازدهار التعليم العالي بصفة خاصة وقد تميز النصف الثاني من القرن 19 بمحاولة إصلاح التعليم الشعبي وتمثل ذلك في مشروعين : مشروع لائحة رجب ،ومشروع التعليم القومي ، وشهد هذا العصر إنشاء دار العلوم سنة 1872، كما تم افتتاح أول مدرسة لتعليم البنات هي مدرسة سيوفيه وأعقبها افتتاح مدرسة أخرى سنة 1874 .

وباحتلال انجلترا لمصر سنة 1882 أقام الاستعمار الانجليزي سياسته التعليمية على توجيه التعليم وجهة نفعية ضيقة تتمثل في تخريج الموظفين الكتابيين وتدعيم الثنائية التعليمية ، ومن العوامل التي أسهمت في اليقظة الفكرية في تلك الفترة ازدهار حركة الترجمة في عهد إسماعيل بعد أن توقفت في عهد عباس ، وفي عصر الاحتلال انهال سير الترجمة بعد أن أصبحت حرة ليس للدولة يد في تشجيعها .

وكان للنهضة الصحفية في تلك الفترة اثر كبير في ظهور اليقظة الفكرية حيث بلغ عدد الصحف و المجلات العربية الصادرة في عهد إسماعيل 27 صحيفة ومجلة منها ما هو رسمي كمجلة اليعسوب الطبية ، أما الصحف الأجنبية فقد انتشرت انتشارا كبيرا حتى زادت على الصحف العربية وأصبح عددها أكثر من 30 صحيفة .

ولعبت المطابع ودور الكتب دورا هاما في اليقظة الفكرية في مصر خلال تلك الفترة منها : مطبعة الديوان ، و أركان حرب ، والنيل ، و الوطنية الإسكندرية .

وقد ازدهرت الحركة الفنية في تلك الفترة فتم إنشاء دار الأوبيرا في عهد إسماعيل حيث بدأت الفرق المسرحية تتواجد بمصر منذ ذلك الحين ، نذكر منها فرقة سليم نقاش و فرقة يعقوب صنوع .

وظهرت في تلك الفترة بعض الجمعيات العلمية و الأدبية التي أسهمت في نمو النشاط الفكري ، فمنها من اهتم بنشر الثقافة العلمية كالمجمع العلمي الذي أسسه الفرنسيون .

وبعد فان الواقع السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و التطور الثقافي الذي شهدته مصر في عصر الإمام محمد عبده كان له اثر كبير في ظهور مفاهيم و اتجاهات تربوية جديدة لدى الأستاذ محمد عبده ستكشف عنها دراستنا في المطالب المقبلة .[1]

المطلب الثاني: مولده ونشأته

محمد عبده واحد ممن حفر تاريخ أسماءهم من المصلحين الذين صنعوا مشروعا فكريا حضاريا مصبوغا بالصبغة الإسلامية ،ومستندا إلى حضارة إسلامية عريقة .

ويبدو أن شخصية محمد عبده المتميزة قد ذاع صيتها بين أوساط المؤرخين والدارسين والباحثين في النصف الثاني من القرن تاسع عشر وأوائل القرن العشرين ومما اتفق عنه بعضهم أن مولده كان في قرية محلة نصر مركز شبراخيت بمديرية البحيرة في مصر سنة 1266هـ الموافق ل1849م ،بينما يرى آخرون انه ولد بحصة شبشير من قرى إقليم الغربية ، ولكنه نشا في قرية محلة نصر ، والقرية المذكورة التي ولد فيها هي بجوار مدينة طنطا ، لأب تركماني وأم مصرية تنتمي إلى قبيلة بني عدي العربية في أسرة تعتز بكثرة رجالها ومقاومتهم لظلم الحكام ، وتحملهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات : هجرة ، سجنا ، تشريدا وضياع

[1]– محمد فوزي عبد المقصود – المرجع السابق – ص33– 36.

ثروة ، ومن عائلة متأصلة الجذور واجهت تعنت الجباة القساة مما اضطرها للعيش في حالة من البؤس في أمكنة متعددة هربا من الضرائب الباهظة .

لقد كان أبوه عبده حسن خيرا لله ممن رزقوا بسطة في جسومهم وقوة ومرنوا على الرمادية والفروسية فكسبوا من الهيبة بقوتهم وبطشهم فوق ما كان لهم من عز ومال.

وعلى كل حال فلقد ورث محمد عبده صفات نشأ عليها ،وساعدته بيئته على نموها ،أهمها :الذكاء ،الثقة بنفس والاعتداد بها ، ويتبع ذلك حب التفوق والعطف .

حيث عاش الطفل محمد عبده كما يقول العقاد في بيت من البيوت القرية المتوسطة لا يحسب من أفقرها ولا من أغناها ، كما نشا في منزل به زوجات متعددات وأولاد مختلفي الأمهات ، فاستطاع منذ حداثة سنه أن يقف على ما في نظام الأسرة المصرية من عيوب سيوجه همته إلى اصطلاحها .[1]

المطلب الثالث: حياته العلمية

الفرع الأول: طلبه للعلم

يشرح محمد عبده طريقة تعلمه فيقول :

في سنة 81 جلست في دروس العلم ، وبدأت بتلقي (شرح الكفراوي على الأجرومية) في المسجد الأحمدي بطنطا وقضيت سنة و نصف لا افهم شيئا لرداءة طريقة التعليم فان المدرسون كانوا يفاجئوننا بإصلاحات نحوية أو فقهية لا نفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لا يعرفها ، فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس ، ثم عثر عليا أخي فأخذني إلى المسجد الأحمد وأراد إكراهي على طلب العلم فأبيت ، وقلت له قد أيقنت أن لا نجاح لي في طلب العلم ولم يبقى عليا إلا أن أعود إلى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي ،

[1]– رسالة ماستر عيسى مهني – محمد عبده ومواقفه من قضايا عصره (1849–1905م)– جامعة محمد خيضر بسكرة– قسم العلوم الإنسانية– شعبة تاريخ (1435هـ–2014م) – ص2–3.

فأخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت إلى (محلة نصر) على نية أن لا أعود إلى طلب العلم ، وتزوجت في سنة 1282 هجرية على هذه النية ، فهذا أول اثر وجد في نفسي من طريقة التعليم في طنطا ، وهي بعينها في الأزهر ، وهو الأثر الذي يجده 95بالمئة ممن لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السبل في التعليم ، غير أن الكثير من الطلبة الذين لا يفهمون تغشهم أنفسهم ، فيظنوا نهم فهموا شيئا ثم يبتلى بهم الناس وتصاب بهم العامة ، لأنهم يزيدون الجاهل جهالة ، ويظلون من يوجد عنده داعية الاسترشاد ، ويأذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم بعد إن تزوجت بأربعين يوما جاءني والدي ضحوة نهار والزمني بالذهاب إلى طنطا لطلب العلم حيث كان يوما شديد الحر فأطعت الأمر وذهبت معه ، حيث أخذت الطريقة الشاذلية على يد والد الشيخ (ظافر) المشهور ، الذي كان قد سكن (الأستانة) ، وكان يحفظ الموطأ و بعض كتب الحديث ، ويجيد حفظ القران و فهمه ثم رجع إلى أسفاره بقريته .

وان هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها في الكنيسة و بيده كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد (محمد المدني) إلى بعض مريدا به بالأطراف بخط مغربي دقيق حيث كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من المعارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس و ترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل ، وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا .

حيث كان بالأزهر يومئذ حزبان : شرعي محافظ وحزب صوفي اقل في محافظته من الشرعيين وحظر محمد عبده دروس كل من الحزبين ، فسمع من الحزب الشرعي المحافظ دروس المشايخ :عليش ، و الرفاعي ، و الجيزاوي .....الخ ، ولكنه انتمى إلى الحزب الصوفي

وكان رائده الشيخ حسن رضوان صاحب المنظومة (روض القلوب المستطاب)وكان من هذا الحزب الشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمود البسيوني .[1]

زار الأفغاني مصر للمرة الثانية فاتصل به محمد عبده ولزم مجلسه منذ شهر محرم من سنة 1871م وودع لذلك حلقات الدروس الأزهرية العقيمة بأرجوزة نظمها ، حيث انتقل به الأفغاني من التصوف و التنسك إلى (الفلسفة ، الصوفية) .[2]

الفرع الثاني : رحلاته

قام محمد عبده بعدة رحلات في سبيل طلبه للعلم منها :

- أولا: رحلته إلى سوريا :

بعد أن هبت ريح الثورة العربية سنة 1882م دخل الانجليز مصر فكان محمد عبده في جملة الذين قبض عليهم ، فحكم عليه بالنفي لمدة 3سنوات لأنه أفتى بعزل توفيق باشا الخديوي ، فاختار الإقامة بسوريا لكنه لم يمكث بها طويلا ، ومع ذلك استفاد الناس من بحر علمه ، واجتمع حوله عدد كبير من الطلاب الذين أصروا على إقامته بينهم ،وعهدوا إليه بالتدريس في بعض المدارس .[3]

- ثانيا : رحلته إلى بيروت :

بعد ذهاب محمد عبده إلى سوريا غير وجهته مرة أخرى فاتجه إلى بيروت فاستقبلوه أهلها بحفاوة بالغة ومكث بها نحو العام وقام خلالها بعدة جولات شملت بيت المقدس ،دمشق وعنى عناية خاصة بقضايا التعليم فيها ، ثم تلقى دعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس فقبل ذلك .

---

[1]- محمد عمارة – الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده – الجزء الأول في تفسير القران – الطبعة الأولى(1414هـ-1993م)- دار الشروق – ص 23-24.

[2]- عبد الرحمان محمد بدوى – الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية – ص 18

[3]- محمد عمارة – المرجع السابق – ص 21-22.

وفي سنة 1885م عاد مرة ثانية إلى بيروت بعد إن تهاوى كل شيء من حوله ، فقد فشلت الثورة العربية ، وأغلقت جريدة العروة الوثقى، وابتعد عن أستاذه الذي رحل بدوره إلى فارس ،وكان محمد عبده يشغل وقته بتأليف وتعليم ، فبدا دروسه في منزله ببيروت في السيرة النبوية ، ودرس في الجامع الكبير تفسير القران الكريم ، وقد اتخذ من بيته ندوة للحديث العلمي والأدبي والسمر المفيد ،وحينئذ أصبح بيته ملتقى العلماء ، الفضلاء ، الأدباء والتلاميذ الذين كانوا يجتمعون من جميع النواحي البعيدة والقريبة.

واخذ يدرس تفسير القران في بعض مساجد بيروت بمنهج عقلي حديث لم يسبق له مثيل في الشرق منذ يقضته ، طبق فيه منهج أستاذه الأفغاني ، وكان ذلك بالمسجد العمري ببيروت حيث كان يعقد دروسه به ثلاث ليلي في الأسبوع ،واجتذب دروسه هذا الحركة الفكرية والثقافية هناك، حتى إن المستنيرين من المسيحين كانوا يجتمعون أمام باب المسجد لسماعه ،ولما حالت ضوضاء الشارع دون سماعهم له طلبوا منهم السماح لهم بدخول المسجد لمتابعة حديثهم، فسمح لهم بالوقوف داخل المسجد إلى جوار الباب ، واستمرت دروسه هذه في التفسير حوالي 2سنة ،وفي سنة 1886م دعيا لتدريس في المدرسة السلطانية في بيروت فلبى ذلك ،فانتقل بها فكانت شبه ابتدائية إلى مدرسة شبه عالية، وكان له فيها إصلاحات متعددة فزاد في العلوم : التوحيد ،معاملات الفقه ، التاريخ ، المنطق، البلاغة ، المعاني والإنشاء.

وكتب أثناء وجوده في بيروت لائحتين لإصلاح التعليم الديني في الدولة العثمانية بعث بهما الشيخ الإسلام في اسطنبول ، ورفع لائحة أخرى إلى سوريا تتضمن إصلاح بيروت تنص على إصلاح برامج التعليم الديني والعناية به ،كما أسس خلالها بمعونة أشخاص آخرين جمعية دينية سرية من أهدافها التقريب بين الأديان الكبرى :الإسلام والمسيحية واليهودية، فكان له السبق في تطبيق مبدأ الحوار بين الثقافات.

كما مارس العلم الثقافي التربوي والفكري إلى جانب قليل من العمل السياسي المباشر بحكم الاتصالات القائمة بينه وبين الأستاذ جمال الديني الأفغاني وتنظيم العروة الوثقى، ولهذا كله كان محمد عبده في بيروت عالما وعلما يملأ زمنه بالتأليف والتعليم، وعلى الجملة فقد خلق في بيروت حركة علمية راقية استفاد منها كثير من أهلها.[1]

ثالثا: رحلته إلى باريس وإنشاء جريدة العروة الوثقى :

بينما كان محمد عبده في بيروت مشغولا بالإصلاح دعاه أستاذه جمال الدين الأفغاني للسعي إليه في باريس ،فاستجاب له وذهب إلى باريس ولم يكد يمر شهران على إقامته هناك حتى أصبح أوروبيا متفرنسا، وبعد التقائه بأستاذه انشآ معا جريدة العروة الوثقى حيث كان لها اثر بليغ في العالم الإسلامي .

اشترك محمد عبده مع أستاذه في إصدار جريدة العروة الوثقى، وكان الهدف الأساسي من إصدار جريدة العروة الوثقى تأليب العالم الإسلامي ضد الاحتلال الانجليزي لمصر، أي أن محمد عبده وأستاذه استطاعا أن يحولا الحركة القومية من حركة مصرية بحتة إلى حركة مصرية في ظل الجامعة الإسلامية. وبهذا أثارت هذه الجريدة مخاوف وقلق الانجليز من اتساع نفوذها وأخذت تعمل على وقفها وبالفعل استطاع الانجليز إخماد صوت العروة الوثقى، وسافر محمد عبده بعد توقف العروة الوثقى عن الصدور إلى تونس ومنها إلى مصر متنكرا على أمل اللحاق بثورة المهدي في السودان، لكن هذه المشاريع لم تسفر عن شيء.

وعلى اثر ذلك تعلم محمد عبده اللغة الفرنسية في باريس وأصبح قادرا على المطالعة فيها، وكان عمره إذ ذاك 40سنة، فجمع إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوروبية حديثة.[2]

---

[1]– محمد عمارة – المرجع السابق – ص23–24.

[2]– الشيخ شريف – الإمام محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث – على الرابط الالكتروني http./www.ahlalmontada.com/ar/phpbb–الثلاثاء 23فيفري 2010–11:43.

-رابعا: رحلته ذهابه إلى لندن:

وخلال فترة نفيه زار محمد عبده لندن فدافع فيها عن حق مصر في جلاء الانجليز عنها ،ثم ما لبث أن التقى بعدد من رجال السياسة البريطانية ،وجرت بينه وبينهم أحاديث حول المسالة المصرية نشر بعضها في صحف لندن ،أهمها مناقشة خطيرة دارت بينه وبين اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانجليزي كان مفادها تناول اللورد أهل مصر بما يقلل من شانهم ويضعنا في استحقاق أهليتهم للحرية والاستقلال ، فغضب محمد عبده لوطنه وحريته وأكد رفض طبيعة هذا الوطن لسلطة الحكم الأجنبي ،ويدلل على أهمية هذه البلاد الحرية وحقها في طرد قوات الاحتلال، وكان محمد عبده وقد عاد إلى عمامته في البرلمان الانجليزي يحدث أعضائه ورجال السياسة وصحافة يطلب الجلاء والوفاء بالوعود ويوضح حقيقة الحال في الثورة العربية ودسائس الأوربيين فيها وكراهية الشعب للحكم الأجنبي.[1]

-خامسا: رحلته إلى تونس :

بعد توقف جريدة العروة الوثقى في 16اكتوبر 1884م يأس محمد عبده من العمل السياسي المباشر كوسيلة لنهضة الشرق فغادر باريس إلى تونس ،ثم واصل الطريق مع أستاذه لمحاولة إنشاء فرع للجمعية فيها ، والتقى بعدد من العلماء ووافقوا على طلبه وشرع في تأسيس الجمعية لكن وقف المال عائقا في سبيل تحقيق هدفه ،وبعد إن تبين له أن مهمته في تونس كان يقدر لها النجاح فكر في العودة إلى بيروت سنة1885م.[2]

سادسا :عودته إلى مصر :

لما عاد محمد عبده من منفاه لمصر عاد إليها أقوى سلاحا وامتن علما واشد رغبة في الإصلاح الذي بدا حياته بدعوة إليه ،ويعتبر عام1889م نقطة تحول في تاريخ محمد عبده ففيه

[1]- رسالة ماجستيرعيسى مهني – المرجع السابق – ص 19- 20.

[2]- محمد عمارة – المرجع السابق – ص 29.

عاد إلى مسقط رأسه مصر وأيضا اعتزل الحياة السياسية وكرس حياته للخدمة العامة وللإصلاح الديني والاجتماعي بصفة خاصة .[1]

الفرع الثالث : شيوخه

درس الشيخ محمد عبده على عدة شيوخ نذكر منهم :

-جمال الدين الأفغاني[2]

- محمد الشربيني شيخ الإسلام[3]

الفرع الرابع : تلاميذه

قام الشيخ أثناء مسيرته العملية بتعليم العديد من التلاميذ وهم :

-عبد الحميد بن باديس

- محمد رشيد رضا

- عبد الرحمان الكواكبي

- سعد زغلول

- حافظ إبراهيم

- قاسم أمين

- محمد لطفي جمعة [4]

- عبد الرحيم الرمرداشي[1]

---

[1]- عبد الكريم بو صفصاف – إسهامات محمد عبده وعبد الحميد بن باديس في قضايا عصرهما على الرابط الالكتروني http://www.penpadis.net/research-and-studies/benbadis/302-benbadis.html.

[2]-السيد محمد رشيد رضا – تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده – منشى مجلة المنار- ج3- دار الفضيلة ط2 (1427هـ-2006م)- ص20.

[3]- المرجع نفسه – ص 12

[4]- محمد عبده عالم دين – ويكيبيديا –على الرابط الالكتروني .ar.m.wikipedia.org

المطلب الرابع: حياته العملية(أهم المناصب التي شغلها)

شغل محمد عبده عدة مناصب داخل مصر وخارجها حيث نذكرها فيما يلي :

الفرع الأول :قبل عودته إلى مصر

- أولا: محمد عبده معلما

بعد إن نال محمد عبده الشهادة العالمية من الأزهر انطلق ليبدأ رحلة كفاحه من خلال هدفه في الدعوة للإصلاح ونشر التنوير والعلم ،فلم يكتفي بالتدريس في الأزهر الذي قام بتدريس المنطق والفلسفة والتوحيد ،وإنما أصبح مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم التي درس فيها مقدمة ابن خلدون ومدرسا للأدب في مدرسة الألسن ،كما كان يلقي دروسا خاصة في منزله وضل الإمام مدرسا حتى أقيل من مدرستي دار العلوم والألسن .[2]

كان محمد عبده من خلال تدريسه يحث الشباب على التضحية فداء للأمة ،كما انه طالب الشباب بالاستعداد من اجل الوفاء لإصلاح الوطن فهم اليوم شباب الأمة وغدا رجالها ،وكان منهجه التعليمي دائما يركز على التحرر من قيود التقليد وتمسك بها [3]،وكان غرضه من التدريس بث أفكاره الإصلاحية في السياسة والمجتمع والتعليم ،وحارب في المدرسة الخديوية طغيان اللغات الأجنبية وطالب بتركيز الاهتمام باللغة الأم ،وكانت دعوته من خلال دروسه بالرغم من هدوئها فعالة ومؤثرة لدرجة أزعجت السلطة القائمة ولم يمارس محمد عبده مهام وضيفته التدريسية سوى عام واحد ،ثم نصح بتقديم استقالته ومغادرة القاهرة والعودة إلى مسقط رأسه ثانية والبقاء هناك.[4]

---

[1]– السيد محمد رشيد رضا – المرجع السابق – ص21.

[2]–ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة – ترجمة كريم عزقول– مطبعة النهار لنشر : بيروت 1968– ص164.

[3]– محمد فوزي عبد المقصود – المرجع السابق– ص22.

[4]– سليمان بن صالح الخراشي : محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة (دراسة إسلامية سلفية لكتب ومقالات لدكتور محمد عمارة) –دار الجواب 1993– ص349.

ثانيا: محمد عبده صحفيا

فضل محمد عبده أن يقضي وقته في الصحافة التي حببه فيها أستاذه جمال الدين الأفغاني ،حيث اسند إلى رياض باشا رئاسة النظار فاتجه إلى إصلاح جريدة الوقائع وهي الجريدة المصرية التي أسسها محمد علي في عام 1828م ،فاختار محمد عبده لهذه المهمة فنهض بها نهضة عظيمة ، واستعان على تحريرها بنخبة من المحررين من خيرة تلاميذ جمال الدين الأفغاني.

ومن هنا انطلق محمد عبده للإصلاح فوضع لائحة للجريدة الرسمية أجازها ونفذها رياض باشا ، وكانت مهمة محمد عبده تحرير وكتابة المقالات الإصلاحية الأدبية والاجتماعية وعدد من المقالات في عدد من الجرائد مثل جريدة الأهرام، وتناولت مقالاته أمور أساسية في حياة الأمة الاجتماعية القانونية والشرعية، فكتب عن تفشي الربا والرشوة ، وناقش المواءمة بين القانون والقوة وحاجة الإنسان إلى الزواج وتعدد الزوجات واستجاب للنوازع الوطنية الثائرة فيه.

لقد كانت مقالات محمد عبده التي كانت تعتمد على العلوم العقلية والدعوة إلى العلوم العصرية تدل على تأثره بالكتب الفلسفية الشرقية التي درسها، وتدل على أسلوب قوي وبلاغة ممتازة، وانشأ في الوقائع قسما غير رسمي إلى جانب الأخبار الرسمية وظل الإمام في هذا العمل نحو سنة ونصف استطاع خلالها أن يجعل الوقائع منبرا للدعوة إلى الإصلاح، حيث كان احد رجال الثورة العربية الأفذاذ .[1]

الفرع الثاني :بعد عودته إلى مصر

أولا: محمد عبده قاضيا

كان محمد عبده يأمل أن يكون ناظرا في دار العلوم أو أستاذا فيها بعد عودته إلى مصر، ولكن الخديون والانجليز كان لهما رأي أخر ، ولذلك تم تعيينه سنة 1889م قاضيا

[1]– رسالة ماستر عيسى مهني – مرجع السابق – ص10–12.

أهلية في محكمة بعيدة عن القاهرة وعن التدريس فقبل على مضض، ثم انتقل إلى محكمة الزقازيق ،ثم محكمة عابدين، ثم ارتقى إلى مستشار في محكمة الاستئناف الأهلية عام 1891م ، ثم مستشار في نضارة الحقانية ، حيث ركز جهوده على إصلاح المؤسسات الدينية الثلاث آنذاك وهي الأزهر، الأوقاف والمحاكم الشرعية .

حيث بدا محمد عبده يتعلم اللغة الفرنسية وهو قاض في محكمة العابدين حتى تمكن منها وأتقنها ، وامتاز في قضائه بتحريه الحق وتقديره للعدالة أكثر مما يقدر نصوص القانون ويرجع هذا إلى سعته الفقهية ودراسته للشريعة الإسلامية .[1]

- ثانيا: محمد عبده مفتيا

في 1899م عين في منصب مفتي الديار المصرية وتبعا لهذا المنصب أصبح عضوا في مجلس الأوقاف العليا ، فسعى إلى إصلاحها ، وإصلاح المساجد ،بوضح وتطبيق اللائحة التي تتضمنها أفكاره لإصلاح هذا المرفق الإسلامي المهم .[2]

كان منصب الإفتاء يضاف لمن يشغل وضيفة مشيخة الجامع الأزهر في السابق ،وبهذا المرسوم استقل منصب الإفتاء عن منصب مشيخة الجامع الأزهر ،وصار محمد عبده أول مفتي مستقل لمصر، وعند تعيينه مفتيا لديار المصرية كان موضع احترام المصريين وتقديرهم ، واتسع نشاطه فشمل نواحي أخرى غير الإفتاء ،فعين في 1899م عضوا في مجلس شورى القوانين كما أسهم في تأسيس بعض الجمعيات الخيرية الإسلامية فحققت ونشرت عددا من أثار التراث العربي الإسلامي الفكرية الهامة .[3]

وقد كانت فتاوي محمد عبده تنبعث من رؤية تنويرية ،عصرية وتربوية ترتكز على ما يلي :

---

[1]– رسالة ماستر عيسى مهني –المرجع السابق – ص26–27.

[2]– د– عبد الرحمان محمد بدوى – المرجع السابق – ص23.

[3]– محمد عمارة – المرجع السابق –ص 34.

1. ميله إلى العقلانية والتسامح بالعلم ونبذ التقليد .
2. إيمانه بحرية الإنسان واستقلال الإرادة .
3. الاهتمام باللغة كوسيلة للتفاعل الحضاري .
4. الاعتماد على تفسير روح القران الكريم .

ومن خلال فتاوي محمد عبده وضع أسس دولة المواطنة القائمة على المساواة بغض النضر عن دين أو الجنس من ذكر أو أنثى ،وهذا أعظم انجاز حضاري قدمه ، حيث أكد من خلاله على المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في القصاص والدية ، وتحرير المرأة العربية من قيود التقاليد العربية التي تتعارض مع روح الدين الإسلامي مثبتا الحقوق الأساسية لها:

1. المرأة إنسان هي شقيقة الرجل .
2. إيمان النساء كالرجال .
3. جزاء المؤمنات في الآخرة كالمؤمنين .
4. مشاركة النساء للرجال في الشعائر الدينية والأعمال الاجتماعية والسياسية .
5. مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء كالرجال .
6. أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر .
7. حقوق النساء المالية والميراث.[1]

المطلب الخامس : وفاته وأثاره

الفرع الأول : وفاته

مات الشيخ الكبير، وأستاذ التحرير ،والعالم الشهير، مفتي الديار المصرية ،في الساعة الخامسة مساءا يوم 11جويلية سنة 1905م/7جمادي الأول 1323هـ بالإسكندرية بعد معاناته من مرض السرطان ،عن عمر ناهز 56سنة ، طار نعيه بعد أخر نفس لفضه إلى جميع أنحاء

[1]– محمد فوزي عبد لمقصود : المرجع السابق – ص27– 28.

البلاد فعرفت مصر أنها خسرت رجلا عظيما مقداما عالما عاملا مترددا عليه الأسف من كل لسان ،ووقف الجميع مكلومي الأفئدة وأنظارهم موجهة إلى تلك الجثة الخامدة ولقد كانوا يختلفون فيه وهو حي فهم مجتمعون الآن وهو ميت على أن الإصابة أليمة والخسارة بموته قد لا تعوض ، والمرء مذكور بحسناته بل كيف لا تكون الخسارة كبيرة وقد كان في الشورى صاحب الفكر النقاد والرأي الصائب المقدم على كل رأي ،وفي اللجنة التشريعية صاحب المقام الأول ،وفي المجلس الأعلى للأوقاف الهادي المرشد ،وفي الجمعية الخيرية الإسلامية الرئيس المحيي ،وفي مجلس إدارة الأزهر المصلح الهادي ،وفي عالم أدب العلم الذي يشار إليه بالبنان ، وفي إصلاح المحاكم الشرعية الأهلية العامل المجد العاقل ، وفي كل أمر كبير الرجل المقدم المفضل ،فلا يتم في مصر عمل كبير إلا ويده فيه قبل كل يد ،وسعيه فيه قبل كل سعي.

فإذا كان اختلاف في سياسته بدءا أو نهاية فلا خلاف في فضله وعلمه وحده وقد عرك السياسة دهرا طويلا حتى سمعناه في الأيام الأخيرة يردد عبارة مأثورة عنه :(ما دخلت السياسة عملا من الأعمال إلا أفسدته).[1]

وفي الساعة الرابعة تماما سارت الجنازة من محطة مصر على النظام الذي كان يشور به الفقيد استنادا على قوله (أكرم الميت بدفنه)فسار في مقدمة الموكب فرسان البوليس بقيادة اثنين من ضباطهم ويلي الفرسان فرقة من مشاة البوليس بقيادة 4من ضباطهم ويليهم نعش الفقيد محمولا على الأكتاف وهو مغطى بشال من الكشمير والى جانبه الأيسر شقيق الفقيد حمودة مع بعض الأصدقاء ووراءه شقيقاه الآخران وبينهما صديقه الحميم في كل ادوار حياته العلمية والسياسية الشيخ عبد الكريم سلمان ، فالجنازة الحقيقية كانت مؤلفة من النعش والفرسان وحامليه والمحيطين به ،أما الجنازة الرسمية مؤلفة من الذين كانوا يمشون وراء النعش فمنهم القضاة الذين عمل معهم الفقيد وفضيلة الشيخ محمد الشربيني وشيوخ إدارة الأزهر والأروقة ثم

[1]– جامعه السيد محمد رشيد رضا – المرجع السابق – ص9 – 10.

جمهور كبير من العلماء حيث كان عدد الذين يسيرون وراء النعش حوالي ثلاثة ألاف شخص على اقل تقدير ويليهم مستشار الداخلية المستر متشل ووراءه رؤساء أقلام الداخلية والمالية وجناب اللورد وكيل حكومة السودان ووكيل نظارة الحربية والضباط الكبار ورؤساء أقلام الحربية والسودان ووكيل محافظة مصر وحكمدارها ورئيس الضباط وكبار العمال والكولونيل كولفيل قائد جيش الاحتلال وقنصل جنرال دولة إيران ومدير مصلحة الصحة وسعادة حسن باشا عاصم وكيل الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان الفقيد رئيسها ، وكبار عمال ديوان الأوقاف وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية .....الخ.[1]

الفرع الثاني: أثاره

ترك الشيخ محمد عبده العديد من المؤلفات و المقالات وله العديد منها نذكر ما يلي :

1- مؤلفاته :

1-رسالة التوحيد.

2- تحقيق وشرح البصائر القيصرية للطوسي.

3- تحقيق وشرح دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني .

4- الرد على هانوتو الفرنسي .

5- الإسلام ونصرانية بين العلم والمدنية (رد به على ارنست رينان سنة 1902م).

6- تقرير إصلاح المحاكم الشرعية سنة 1899م.

7- شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب .

8- العروة الوثقى مع معلمه جمال الدين الأفغاني .

[1]- جامعه السيد محمد رشيد رضا – المرجع السابق – ص 12 -13.

9- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني .[1]

2- مقالاته :

1- المقال الأول لشيخ محمد عبده في الأهرام المصرية (الأهرام 2سبتمبر 1876م).[2]

2- كتابان سياسيان حول مطلب انجلترا من مصر .[3]

[1]- محمد عبده (عالم دين) – مرجع سابق .

[2]- محمد عبد الهادي علام – كتاب الأهرام – إصدار العدد الأول في أغسطس 1876- تاريخ النشر الخميس 1من ذي القعدة 1437هـ 4اغسطس 2016السنة 43العدد47358.

[3]- احمد كلحى – قسم المقالات قائمة مقالات الإمام محمد عبده – الأحد 31مارس 2013م -4:31ص .

المبحث الثاني

جهوده الدعوية

المطلب الأول: الفتاوى

المطلب الثاني: الممارسات الدينية

المطلب الثالث: تفسير القران الكريم

المطلب الرابع: الأديان الأخرى

المطلب الخامس: إنشاء الجامعة الإسلامية

المبحث الثاني : الجهود الدعوية

لقد أسهم محمد عبده في قضايا الأمة الإسلامية الحديثة بشكل لم يسبق له مثيل على كافة المستويات حيث كانت جهده الدعوية دائما تعبر عن أفكاره التي نذكرها فيما يلي :

المطلب الأول: الفتاوى

قدم محمد عبده العديد من الفتاوى التي كانت تنبعث من رؤية تنويرية عصرية وتربوية حيث نذكر منها ما يلي :

- عن الوقف وقضاياه، الميراث ومشكلاته، والمعاملات ذات الطابع المالي والآثار الاقتصادية مثل البيع والشراء، الإجارة والرهن والإبداع ،الوصاية والشفعة والولاية على القصر ،الحكر والحجر والشركة وإبراء الذمة، ووضع اليد والديون واستقلال المرأة المالي والاقتصادي، حيث بلغ عدد فتاواه في ذلك 728فتوى.
- عن مشاكل الأسرة وقضاياها من الزواج، الطلاق، النفقة، الإرضاع، الحضانة، وعدد فتاواه في ذلك 100فتوى .
- عن القتل ،القصاص والدية ،وعدد فتاواه في ذلك نحو 29فتوى.
- فتاوى في موضوعات متنوعة ومختلفة، وعدد فتاواه في ذلك نحو87 فتوى.

إننا نلاحظ أن 80%من فتاوى محمد عبده تتعلق بمشكلات خاصة بالحياة المالية والاقتصادية وقضاياها، ثم إن محمد عبده ظل مفتيا للديار المصرية 6 سنوات كاملة حتى وفاته عام 1905م.

وهكذا يتضح طابع التجديد في فتاوى محمد عبده التي ترتكز على الاجتهاد ،وتحقيق دولة المواطنة القائمة على المساواة بغض النظر عن الدين أو الجنس.

وفي فترة محمد عبده في الإفتاء سافر إلى خارج مصر عدة مرات: إلى الشام، وإلى أوروبا أكثر من مرة، أشهرها رحلته إليها ستة 1903م/1321هـ، ومنها عرج على تونس

والجزائر، ثم صقلية وايطاليا ، كما سافر إلى السودان في المدة التي تنحصر من 18إلى 31جانفي 1905م.

لقد قدم محمد عبده لنا في عهد إفتاءه إصلاح المحاكم الشرعية تقريبا قليلا، ولكن أصدر فتاوى ذات شأن كبير، وكتب تفسير(جزء عم) وتفاسير لبعض السور القرآنية ولبعض الآيات المشكلة، وألف كتاب (الإسلام والنصرانية) ، وكتب للمجلات والجرائد مقالات قيمة في موضوعات دينية وغير دينية.[1]

المطلب الثاني: الممارسات الدينية

أما جهود محمد عبده في مجال الممارسات الدينية فهي أنه يصحح العقائد الإسلامية التي تسربت إليها البدع والخرافات من جراء بعض الممارسات الطرقية، وقاوم الجبرية، ودعا إلى حرية الإرادة وحرية العقل، ولعل هذا من ابرز العناصر الإيجابية في حركته، والذي يمكن أن يستمر مع الأجيال على الدوام، كما قاوم بعض الظواهر الاجتماعية ودعا أيضا إلى الحرية السياسية المتمثلة في الشورى ، والحرية من العبودية لغير الله، وحرية العقيدة المتمثلة في قوله تعالى :﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [2] وما شرع القتال إلا لتأمين الدعوة، وكف الشر عن المؤمنين، كما دعا إلى حرية الجدل الديني المتصلة بحرية العقيدة.

وبالتالي فقد كان من ابرز دعوات محمد عبده معارضة الجبرية الصوفية، والدعوة إلى العمل والبناء، وهذا ما جعله يقول وهذا ما جعله يقول في هذا الصدد: "لماذا نعتزل الدنيا إن

[1]– محمد عمارة– مرجع سابق– ص27–28

[2]– سورة البقرة – 255

علينا أن نخالط الناس ، وأن نعيش في المجتمع عاملين ،وإن واجب كل مسلم صحيح الإسلام، وأن يؤدي رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".[1]

ولقد استخلصنا من آثار محمد عبده أنه أخذ يحارب العادات القديمة والخرافات الدينية التي أفسدت روح الإسلام والحياة الاجتماعية في مصر والشرق ، فدعا إلى تقنية العقائد مما طرأ عليها من البدع والمنكرات ،ثم ما لبث أن انشغل بمقاومة رجال الصوفية والفقهاء التقليديين الذي جلب له انتقادات كثيرة من الكتاب والسياسيين الذين اعتبروا عمله في هذا الحقل مضيعة للوقت، وخروجا عن رسالته الحقيقية التي حصروها بالنسبة له في التعليم ، التوجيه، القضاء وإصلاح الأزهر.

ومع ذلك فمحمد عبده غير نظره إلى الحركة الوهابية التي لم يجد لها ضالته فيها أيضا لما كانت تتسم به من بداوة ،وبالتالي وقف موقفا متشككا من حكم العقل والمدينة الجديدة، وفي نفس الوقت رفض الانسلاخ عن تراث وثقافة المجتمع الإسلامي والارتماء في أحضان ثقافة أخرى، ويرى أن هذا الطريق لن يوصلنا إلى شيء لأنه يستدعي نقض كل شيء والبدء من جديد، وهذا يعد من المستحيلات.

وفي كل هذا نجد أن محمد عبده طالب بتحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلافة والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى، واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وصفها الله لترده من شططه، وتقلل من خلطه وخبطه لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني وفتح باب الاجتهاد، ومحاربة الخرافات والأباطيل التي نسبت زورا إلى الإسلام، فهو يعد هذا التحرير للفكر صديقا للعلم من حيث أنه باعث على البحث في أسرار الكون وداعي إلى احترام الحقائق الثابتة، كما أنه طالب بالتعويل عليها في

[1]–أنور الجندي–العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي(الموسوعة الإسلامية العربية)– مج4 – ط2– دار الكتاب اللبناني :بيروت1983–ص283.

أدب النفس و إصلاح العمل ،وبذلك فمحمد عبده ذم التقليد ودعا إلى الاجتهاد، وأباح لنفسه الاجتهاد في مسائل ومشكلات وأبدا فيها رأيه، وسخر من التقليد والمقلدين.

ولا نبالغ في القول أن محمد عبده سعى إلى إعادة صياغة بنية النص الديني من خلال العودة إلى روح الإسلام في اجتهاداته، ففي كتابه (رسالة التوحيد) الذي نرى أنه رسالة الإسلام الجديدة يعطي مضامين جديدة للإسلام تعتمد أساسا على عقلانية غير معهودة ولا مألوفة في تراث الإسلام ،وفي رسالة التوحيد يدشن تلك النظرة التجديدية، ولا بأس من الاستشهاد بنص قد يبدو طويلا لكنه يلخص إن صح التعبير المشروع الحضاري لمحمد عبده، فيعلن وبصوت عال أن: "الإسلام شجب التقليد الأعمى فيما يتعلق بالعقيدة كما شجب التطبيق الآلي للواجبات الدينية، وقد نبه الإسلام الفكر من غفوته.....ورفع الصوت ضد الجمود والجهل، فأعلن أن الإنسان لم يخلق كي يقاد من عنانه، و إنما من طبيعته الخاصة وراء العلم والمعرفة، وراء علم الكون ومعرفة الوقائع والأحداث الماضية".[1]وكل هذه الأحداث مهدت لانطلاق حركة فكرية إسلامية حديثة– في هذه الفترة من بداية القرن التاسع عشر ميلادي– وظهر ما يسمى بالاتجاه الفكري الإسلامي المقاوم للاحتلال، ويطلق عليه كذلك حركة الإصلاح والتجديد الديني، ومن ابرز رجالاته في هذه الفترة محمد عبده الذي صال وجال في البلاد الغربية وأدرك ما يكيده هناك الغرب من مكائد ومؤامرات للأمة الإسلامية، كما طاف في البلاد الإسلامية كثيرا لكن ساءه حالها وما تمر به من أزمات مادية ، فكرية وسياسية، حكومتها منخورة يتلاعب بها المستعمر الغربي وأوضاعها مزرية ،والفرقة تعشش في جسدها، أضف إليه انتشار الجهل والظلم فيها ،وفقدان الحرية .....حاز كل هذا في نفسه مما جعله يبذل جهده ووقته ونشاطه في الإصلاح والتجديد الديني.

[1]– محمد نور الدين جباب– إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر– رسالة دكتورا– جامعة الجزائر– ص 32.

ومما يتصل بإصلاح التعليم الديني أن قد أتيحت الفرصة لمحمد عبده بعد توليه منصب الإفتاء أن يقوم بزيارة عدد من المحاكم الشرعية، ضمن أعضاء لجنة شكلت لبحث أحوال المحاكم الأهلية في مصر ،فهاله سوء الحال التي كانت عليها المحاكم الشرعية حيث أن القضاة لم يكونوا من حملة العلوم الشرعية التي تتيح لهم حسن البت في قضايا الناس من الناحية الشرعية.

كما لا ننسى أن محمد عبده قد مثل تيارا من التيارات السياسية والفكرية التي ظهرت لتعبر عن شكل أو آخر من أشكال الاستجابة لعملية التحول في مختلف جوانب المجتمع، وهو التيار الإسلامي ،وفي داخل هذا التيار عبر عن منهج وأسلوب متميزين، وقد كان المحور الرئيسي وراء أهدافه هو النزعة إلى التجديد، حيث اشترك مع أستاذه وصاحبه جمال الدين الأفغاني في تأسيس هذا التيار، فكان يسعى من خلال هذا التيار الذي بدأه في واقع الأمر جمال الدين الأفغاني وتابعه من بعده تلميذه محمد عبده إلى نهضة الشرق وإيقاظه من سباته وإصلاح العقول والنفوس وكذا إصلاح الحكومة.[1]

ويؤكد الطاهر بن عاشور على أن الإصلاح الديني الذي قام به قادة الإسلام المحدثون أمثال محمد عبده الذي أفاق على أن تغيير العالم ونهضته العلمية، ووعي بظروف العصر الحديث، فحاول بوسعه أن ينفض عن الفكر الإسلامي غبار القرون المتتالية، تشحذه في ذلك عزائمه القوية وجهوده الفكرية الواعية التي تنطلق من أجل الحياة وقوامها، وهو التفكير الديني المؤسس على القرآن الكريم وتفسيره.

وفي موقف آخر نجد أن محمد عبده رفض السلطة الدينية، ولكنه لم يناد بالعلمانية كما أراد بعض المجرحين تشويه صورته، وإنما نادى بالسلطة المدنية الإسلامية، فهو يقول أن

[1]–زيلوخة بوقرة –سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر (جمعية علماء المسلمين الجزائريين– نموذجا)– رسالة ماجستير – جامعة باتنة–ص71.

الحاكم ليس له سلطة دينية فيحكم على عقائد الناس بالفساد أو الصلاح كما كان يفعل الباباوات في أوروبا، وإنما الحاكم الإسلامي سلطته مدنية ويحكم بالشرع الإسلامي كسلطة تنفيذية تنفذ هذا الشرع، وليس وسيطا بين الله وعباده، وكلامه هذا عن السلطة في الإسلام لم يكن واضحا على أنها مدنية من جميع الوجوه وأنه ليس في الإسلام سلطة سوى الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير ،وربما يقال إنه يقصد أن الحكومة في الإسلام ليست تيوقراطية، أو ليس في الإسلام سلطة كسلطة البابا عند النصارى، ولكنه يبقى كلاما غامضا مما شجع هذا الاتجاه الذي يعتبر أن الحكم والخلافة ليستا من أصول الإسلام.[1]

وإذا كان محمد عبده قد أسهم في بداية حياته في توجيه النشاط السياسي لمصر في فترة الثورة العربية وما بعدها، فإن نشاطه كمصلح ديني واجتماعي يفوق ما عداه من أوجه النشاطات الأخرى، فإصلاحه لنظم التعليم في الأزهر، وبعثته للحركة الفكرية والأدبية في مصر، وخدمته للعلم الدينية، ودفاعه عن الإسلام جعلته في قمة المصلحين في هذا العصر ويبدو أن انصراف محمد عبده في آخر أيامه عن القضايا السياسية هو إيمانه بأن الإصلاح لديني والاجتماعي يجب أن يسبق الإصلاح السياسي ،وهو ما كان يؤمن به ويدافع عنه قبل انضمامه إلى العربيين، فاعتزاله الحياة السياسية إنما هو العودة إلى البداية.

إن محمد عبده يعد واحدا من ابرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث واحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة، فقد ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية، الاقتصادية والثقافية، كما لا ننسى أنه استطاع بأسلوبه القوي أن يكتب في عدد من القضايا التي تدور حول تدهور أحوال

[1]–عبد الكريم بو صفصاف– مرجع سابق – ص50

المسلمين والدعوة إلى بعث قوتهم من جديد، كما اكتسب منهج محمد عبده النظرة الموضوعية والتحليلية لأوضاع المجتمع.[1]

لقد ظل خطاب محمد عبده في الإصلاح الديني رغم استلهامه الشديد من الغرب المتقدم شديد التمسك بتراثه، بل لقد كان يشكل له جزءا أساسيا من هويته وانتمائه وفي كثير من الأحيان كان المرجعية التي تحدد له ما يأخذ من هذا الغرب المتقدم، وما يجب تركه، بالرغم من كونه قد أخذ الكثير والكثير من هذا الغرب.

وبهذا المنهج استطاع محمد عبده أن ينشر أفكاره في كافة أنحاء العالم الإسلامي التي سارت في الغالب على نهجه السلمي، لتركز أولا على تطهير الفكر والنفس من الشوائب عن طريق العلم والمعرفة، ثم تأتي مرحلة تحريرها من قيد الاستعمار لتكون أكثر نجاحا، ومن ثم فقد كانت حركته كإحدى المؤثرات المباشرة لظهور الحركة الإسلامية في العصر الحديث والتي واصلت الطريق الذي بدأه المصلحون الأوائل وسارت على خطاهم ساعية لتحقيق الهدف المنشود، وهو تحرير العالم الإسلامي من طغيان التخلف وطغيان الاستعمار، وفي أوائل عهد الخديوي توفيق أسند إليه التحرير في الوقائع المصرية، ثم ما لبث أن أصبح رئيسا للتحرير ، وقد اتخذ من جريدة الوقائع المصرية منبرا لنشر دعوته الإصلاحية والمناداة بالنهوض بالبلاد من جميع النواحي الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية.[2]

ويتلخص أسلوب محمد عبده الذي اتبعه في الإصلاح الديني في ثلاث عناصر:

-العودة إلى النبع الصافي أو السلف الصالح ،وكان يعني به الأوضاع التي كان عليها ص

-استخدام العقل حيث رأى فيه مظهر التفكير الذي حث عليه جوهر الإسلام بفهم أسسه وبيانها .

[1]- زيلوخة بوقرة- مرجع سابق- ص73.

[2]- محمد محمود السروجي – دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر – الإسكندرية-ص107.

-الاستناد إلى أدوات تقوي الصلة بين الإسلام ومتطلبات العصر.

ودعوة محمد عبده إلى العودة إلى نموذج سلف الأمة ليست دعوة رجعية كما يتوهم البعض وإنما هي دعوة إلى تجميع الأمة تصور عقدي يمثل الإسلام تمثيلا صحيحا، وقد أثبت هذا النموذج على مستوى التاريخ صحته وسلامته في احترام النقل وتقديسه ، وإزكاء العقل وتقديره.[1]

المطلب الثالث: تفسير القرآن الكريم

في بداية القرن الرابع عشر هجري ونهايات القرن التاسع عشر ميلادي بدأ تحول كبير في طريقة تفسير القرآن الكريم، بدأ هذا التحول في مصر وعلى يد محمد عبده بنضجه العقلي ، حيث كانت كل التفاسير أمامه فلم يتقبل منها طريقتها كما يرى الدكتور عبد المنعم النمر رحمه الله وإنما نحا منحى جديدا في التفسير في دروسه التي ألقاها في بيروت حين نفي إليها، ثم عاودها حينما عاد لمصر، وبدأ دروسه فيها من أول القرآن على الطريقة التي رآها تبرز هدايته وأثره في النفوس ، وحتى يستعيد المسلمون بهدايته سيرتهم الأولى في القوة العلمية والسياسية ،ويتحقق بذلك منهجه في الإصلاح الذي يتأثر فيه بمنهج أستاذه جمال الدين الأفغاني.

ويعتبر أكبر عمل ديني وثقافي ورثه المسلمون عن محمد عبده هو تفسير القرآن الكريم الذي اشتهر به، ووافق فيه أصول مدرسته، والذي يعد من أجود التفاسير ،وهذا التفسير الذي جاء به كان بمنهج جديد يعتمد على العقل ، ذلك أن كل من يقرأ هذا التفسير يشعر بطرافة الموضوع، متعة الأسلوب، جمال اللغة، وبذوق فني رفيع، وبمعلومات تاريخية وعلمية قيمة، بالإضافة إلى المعرفة الدينية والأخلاقية التي تربي المجتمع، وتجمع اللحمة بين أفراده، وتربي فيه قيم الحرية، ونبالة الضمير الإنساني، وأسلوبه في هذا التفسير يميل إلى السهولة في التعبير

[1]- محمد صالح محمد السيد- إعادة بناء التوحيد عند الأستاذ الإمام محمد عبده- دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- ص11.

ويبتعد عن مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون بحيث يفهمه العامة، ولا يستغني عنه الخاصة، وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر.[1]

وقد كان محمد عبده ينظر إلى التفسير أنه" فهم الكتاب العزيز" من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم في الدنيا وحياتهم في الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث فهو تابع له أو وسيلة إلى تحصيله، ولم يكن غريبا أن ينهض محمد عبده رائد التفسير الحديث بتفسيره للقرآن الكريم لا ليضم نسخة جديدة تتشابه مع سابقاتها بل ليجعله صيحة البعث ونور الشروق، ويظهر الذكر كما أنزله الله سبحانه وتعالى ناصع الصفحة واضح الغرض.

وأيضا يرى محمد عبده أن الذين يريدون تفسير القرآن الكريم تفسيرا حديثا مستنيرا عليهم أن يتزودوا بالأسلحة اللغوية، أسباب النزول ودراسة السيرة النبوية، والنظر في الكون ثم يفهم القرآن حسب عصره، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل ، وأن لا تشكل آراء المفسرين السابقين حدودا للتفكير والاستنباط لأن رؤى المفسرين السابقة ارتبطت بالمستوي العقلي ودرجة العلم التي بلغوها، فلا يجب أن نلزم أنفسنا بما بلغوه ونقف عنده فلا نتعداه.

وفي ذلك ما يقوله:" ما قيمة سند لا أعرف بنفسي رجاله ولا أحوالهم، ولكننا نعرض هذه المأثورات على القرآن فما وافقه كان القرآن هو حجة صدقه، وما خالفه فلا سبيل لتصديقه "،كما كان الاتجاه الأهم لنهضة التفسير في عصر محمد عبده هو تجريد التفسير من الخرافات والإسرائيليات النحوية والبلاغية الكثيرة، والاقتصار على الضروري منها لفهم الآية حتى لا يضيع معناها في أعطاف تلك المصطلحات الفنية.

وفي نفس الوقت يستدل محمد عبده بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن الكريم ، فلماذا نضفي قدسية غلى تفسيرات العلماء السابقين، ونضعها حاجزا بيننا وبين الاعمال

[1]– الخراشي سليمان بن صالح– المرجع السابق–ص351.

المستمر للعقل في معاني ومقاصد الآيات القرآنية ، وهو ما يراه محمد عبده احدى مقاصد الله في القران الكريم ، فنجده في ذلك يقول لاحد اعضاء جمعية العروة الوثقى : (داوم على قراءة القران ، وتفهم اوامره ونواهيه ومواعظه كما كان يتلى على المؤمنين و الكافرين ايام الوحي ، وحاذر النظر الى وجوه التفاسير الا لفهم مفرد غاب عنك مراد العرب منه ، او ارتباط مفرد بأخر خفي عليك متصلة ، ثم اذهب الى ما يشخصك القران اليه ، واحمل نفسك على ما يحمل عليه ، وضم الى ذلك مطالعة السيرة النبوية واقفا عند الصحيح المعقول ، حاجزا عينيك عن الضعف المرذول)

وفي هذا كله نجد ان منهج محمد عبده في تفسير القران الكريم يقوم على التدبر في معاني القران الكريم ، و الوصول الى اسرارها بخلاف غيره من المفسرين الذين كانوا يركزون اهتمامهم على الالفاظ دون المعاني ، كما كان يؤمن بوحدة السورة وتناسق آياتها على عكس غيره من المفسرين الذين يقسمون آيات السورة إلى جمل ، ويجعلون لكل جملة سببا مفصلا مما يجعل القران مفككا مبددا لا اتصال بين اجزائه ، وهذا ما يتنزه عنه كلام الله ، كما حرص محمد عبده في تفسيره على تقرير صفة العمومية و الشمول في معاني القران الكريم وكان يحتج على هذا النوع من التفسير الذي ينحو منحى الضيق و التخصيص .[1]

ولقد استعرض علامة الجزائر الشيخ محمد البشير الابراهيمي في مقدمته لتفسير محمد عبده حيث قال : "....ثم كانت المعجزة بعد ذلك الارهاص بظهور امام المفسرين بلا منازع . محمد عبده . ابلغ من تكلم في التفسير بيانا لهديه وفهمها لأسراره ، وتوفيقا بين آيات الله في القران ، وبينها في الاكوان ، فبوجود هذا الامام وجد علم التفسير و تم ، ولم ينقصه الا انه لم يكتبه بقلمه كما بينه بلسانه ، ولو فعل لأبقى للمسلمين تفسيرا لا للقران بل لمعجزات القران

[1]–عبد الله محمود شحاته– منهج الامام محمد عبده في تفسير القران الكريم – مكتبة وهبة – القاهرة 1963– ص 36.

ولكنه مات دون ذلك " ، ويقول عثمان امين في صدد اخر ان محمد عبده قد فهم الكتاب الكريم بالوقوف على معانيه العامة .

لقد علم محمد عبده أن أمضى سلاح للإسلام هو القران الكريم فلا بد من شحذه بالشرح النظيف و التفسير النقي ، وتنظيفه من الصدى الذي غلفته به تلك التفاسير القديمة ، فان غزو العقول به في عصر العلم لا يكون إلا بإظهاره على حقيقته ، وتجليه أسرار الأساليب الأدبية الخلابة ، و التحليل الفلسفي الذي لا ينحرف غلوا او تفريطا ، بل يكون بين ذلك قواما كما اراده الحق تبارك و تعالى ، لذلك كان اعتماد محمد عبده الاساسي في تبليغ الدعوة هو تفسير القران الكريم على نحو عصر سلفي معا.

واذا كان محمد عبده مصلحا وداعية إلى فهم جديد للإسلام فان سلاحه الأول في تحقيق هذا كان هو التفسير ، لأنه يستطيع عن طريقه ان يصلح العقيدة وان يقدم فهمه الجديد دون التورط في شنشنات علم الكلام ، وينفسح له المجال للحديث عن القيم و المثل التي قام الاسلام لها ، ويشيد بالعقل واعمال الفكر قدر ما يندد بالجهل و التقليد و اتباع الاباء ، ويوضح شمولية الاسلام و سماحته و قبوله للتعددية كان باختصار يصل الى اهدافه عبر التفسير افضل مما كان يمكن ان يصل إليه بغيره ، لأنه عندما يصل إليها بالتفسير فانه يربطها باللفظ المنزل ويكسبها قداسة القران الكريم ، ومن هنا كان التفسير عدته وعتاده ووسيلته ودعوته ، فقد درسه في الجامع الازهر طوال ستة اعوام فسر فيها قرابة خمسة اجزاء والف دروسا في التفسير في الجزائر وفي بيروت .

لقد قال محمد عبده ما خلاصته أن للتفسير مراتب أدناها أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه ، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها الى الخير ، واما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور احدها فهم حقائق الالفاظ المفردة التي اودعها القران الكريم ، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات اهل اللغة غير مكتف بقول فلان وفهم فلان ، فان كثيرا من الالفاظ

كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ، ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب او بعيد ، ومن ذلك لفظ التأويل اشتهر بمعنى التفسير مطلقا او على وجه مخصوص ولكنه جاء في معان اخرى .[1]

ومن المدارس التي ظهرت حديثا في تفسير القران الكريم مدرسة محمد عبده ، تلك المدرسة الادبية الاجتماعية التي سلكت في التفسير مسلكا اعلنت به انه يبرز الهدى القرآني ويقدمه لطالبه بأوضح عبارة ، ومن ايسر طريق بعيدا عما حشا به المفسرون تفاسيرهم من أمور كانت من صوارف الهمم عنها وعن الاغتراب منها .

ان محمد عبده يرى انه حتى يكون التفسير في المرتبة العليا لا بد من تحقيق امور في المفسر ، وهذه الامور هي :

. فهم حقائق الالفاظ المفردة .

. الاساليب التي يفهم بها المفسر مراد المتكلم .

. علم احوال البشر في أطوارهم وأدواهم و مناشئ اختلاف أحوالهم قوة و ضعفا .

. العلم بوجوه هداية البشر كلهم بالقران الكريم .

. العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه ، وما كانوا عليه من علم وعمل .

أما مجيزوا التفسير العلمي للقران وهم كثرة فيمثلهم محمد عبده وهو الذي تبنى التفسير العلمي للقران الكريم ، فوضع له الحدود التي تسد الباب امام الادعياء الذين يتشبعون بما لم يعطوا ، ومن هذه الحدود :

1. ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة العربية ، فلا بد من :

[1]– محمد عمارة– مرجع سابق– ص 6.

- . أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة ابان نزول الوحي
- . أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها .
- . أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها ، خصوصا قاعدة أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز الا بقرينة كافية .

2. البعد عن التأويل في بيان إعجاز القران العلمي .

3. ان لا تجعل حقائق القران موضوع نظر ، بل تجعل هي الاصل فما وافقها قبل وما عارضها رفض .

4. ان لا يفسر القران الكريم الا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض و النظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص ، أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القران لأنها عرضة للتصحيح و التعديل في أي وقت .[1]

وفي الاخير نستنتج ان محمد عبده كان في تفسيره للقران الكريم اما مصيبا واما مجتهدا ، عرض وجهة نظره معززة بأسانيد ومدعمة ببراهين ، فإذا كان قد أخطأ فلن تفوته حسنة الاجتهاد ، واذا اصاب فلا شك في ذلك ، وكان جديرا من معاصريه بالاحترام والتقدير لا بالنقد و النكير ، وهو الذي كان دائما يقول بان القران الكريم يجب ان يكون اصلا تحمل عليه المذاهب و الآراء في الدين .

المطلب الرابع : الأديان الأخرى

اما فيما يتمثل موقف محمد عبده من الاديان الاخرى فقد رد على فرح انطوان صاحب مجلة (الجامعة) بخصوص ما كتبه حول علاقة الاسلام بالمسيحية ، وجاء رده مبينا دعوة

[1]–محمد السيد جبريل– منهج المنار في تفسير القران الكريم– ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث, القاهرة8–9 اكتوبر2002م–ص44.

الاسلام الى احترام الاديان الاخرى ، وكونه عقيدة للدنيا والدين معا لا فصل بينهما ، ولعل اهم ميزة تميزت بها حركته . في راينا . هي ميزة التسامح مع اصحاب الاديان المخالفة ، وحتى مع خصوم الاصلاح ايضا ، فبخصوص المسالة الاولى نجده قد دعا الى الاتحاد ، التسامح و التعاون بين الاديان السماوية الثلاثة . اليهودية ، المسيحية و الاسلام . وبسبب وجود طوائف يهودية ومسيحية في مصر الغى محمد عبده عنصر الديم من مقومات الوطنية المصرية وفيما يتصل بالمسالة الثانية فانه كان يدعو خصومه من الطرفين و الفقهاء الرسميين الجامدين الى التفاهم و التسامح ، و الابتعاد عن التعصب و المغالاة واتباع الدين من الطرق الميسرة ومحاولة افهامهم ان الدين واحد ، وان الرب واحد ، فلماذا الاختلاف؟ ، ولماذا التعصب ؟ ولماذا تقديس البشر ؟

ومن هذه النتيجة نستخلص نتيجة اخرى وهي ان العنف ، التطرف و المغالاة في الدين الذي تميزت به بعض الجماعات في السنين الاخيرة لم يكن كما يدعي البعض نتيجة من نتائج الاصلاح الاسلامي الذي دعا اليه محمد عبده في مصر، بل على العكس من ذلك فان كثيرا من زعماء الحركات المتطرفة في مصر هاجموا محمد عبده ووصفوه بالعلمانية، وعابوا عليه ان يكون رجلا قوميا ووطنيا، مع ان الانسان لا يمكن ان يكون كامل الشخصية الا بهذه المقومات

لقد اتبع محمد عبده استاذه الافغاني في موضوع تقارب الاديان ، فقد اسس بعد عام 1885م جمعية سرية للتقريب بين الاديان شارك فيها عدد من رجال الدين المستنيرين ممن ينتمون الى الاديان السماوية الثلاثة ، وهو لا يشنع على النصارى شركهم وادعاء الربوبية لعيسى عليه السلام ، ويحصر الخلاف معهم بانهم لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول في هذا الصدد : (وليس المراد بنبذهم الكتاب وراء ظهورهم انهم طرحوه برمته وإنما المراد أنهم طرحوا جزءا منه وهو ما يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم) ، وعندما تعرض لموضوع الزواج من كتابية قال : (فهي تدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر و الفرق الجوهري العظيم

بينهما هو الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم) وقرر هذه القاعدة في كتابه (الاسلام و النصرانية)، وذكر بان الاصل السابع من اصول الاسلام الثمانية مودة المخالفين في العقيدة .[1]

المطلب الخامس : إنشاء الجامعة الإسلامية

قدم رواد النهضة في القرن التاسع عشر مجهودات متنوعة و متعددة في التعامل مع المشكلة الحضارية و الاجابة عليها ، وكان ذلك نتيجة وعي بالوضع الكارثي الذي ال اليه العالم الاسلامي ان ذاك ، لكنهم اختلفوا في تصوراتهم حول تحقيق صحوة العالم الاسلامي .

وفي اواخر القرن 19 م واوائل القرن 20 م كانت حركات الاصلاح الدينية السابقة لمحمد عبده تمثل مقدمات لظهور فكرة الجامعة الاسلامية ، حيث اهتمت بإصلاح الدين من جهة ، والدولة من جهة ثانية ، ومقاومة المستعمر من جهة ثالثة ، وقد حمل لواء الدعوة إلى هذه الفكرة الإصلاحية وتأسيس الجامعة الإسلامية جمال الدين الافغاني و محمد عبده ، حيث اشار رشيد رضا الى ذلك فقال ان جمال الدين الافغاني و محمد عبده هما في مقدمة الداعين الى انشاء الجامعة الاسلامية .

ولقد ارتبط بفكرة الجامعة الاسلامية شخصيات ادت دورا بارزا في الترويج لها وكانت لها مواقفها المعينة من الفكرة ، ومن الداعين لها فإلى جانب جمال الدين الأفغاني الذي تأثر العديد من المفكرين بتياره المنادي بالجامعة الاسلامية كان تلميذه محمد عبده اكبر نصير للفكرة في مصر ، وذلك من خلال المواقف الفكرية الخصبة و الهامة التي خلفها لنا هذا المفكر الكبير ، ونحن نستطيع ان نلتمس موقفه الذي اتفق مع استاذه جمال الدين الافغاني في الدعوة الى الجامعة الاسلامية بزعامة الدولة الاسلامية بزعامة الدولة العثمانية التي اعتبر ان المحافظة عليها ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله ، فإنها وحدها . في رايه . الحافظ لسلطان الدين ، الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان سواها .

[1]–محمد عبد العظيم الزرقاني– مناهج العرفان في علوم القران– كتاب الكتروني– ص383–384.

وفي موضع أخر نجد أن العديد من المفكرين المنادين بتيار الافغاني المنادي بالجامعة الاسلامية والذي كان على راسه تلميذه محمد عبده التي ظهرت هذه الدعوة في بدايتها على منبر صحيفة العروة الوثقى آنذاك ، ومما دعى إليه أيضا في هذا المجال الوحدة الاسلامية ، و النهوض من الضعف حتى تلحق الأمة بالأمم و الدولة بالدول القوية ، فيعود للإسلام شأنه ، أما دعاتها الاخرين فانهم ارادوا اقامة دولة إسلامية عامة بأساليب قديمة ، فكانوا كمن يريد السير الى الامام بينما عيونهم خلف رؤوسهم .[1]

وفي موقف اخر نجد ان مفهوم الاصلاح ارتبط بتيار الجامعة الاسلامية الذي كان وراءه رجال عظماء كجمال الدين الافغاني ، محمد رشيد رضا ، ومحمد عبده الذين دعوا الى التمسك بتعاليم الدين الاسلامي الصحيح ، ومحاربة البدع و الخرافات وكل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله[2]، على ان تكون زعامة الجامعة الإسلامية لأي مسلم صالح دون اشتراط ان يكون عربيا ، و العمل على تجديد الاسلام ، وتحريره من الجمود ، وتنقيته من الشوائب ، واستعادة مجده السابق .

ومن خلال كل هذا نجد اته لا شك في ان محمد عبده يعتبر عمودا من اعمدة التيار الاسلامي في مصر المنادي بإنشاء جامعة إسلامية ، يلتقي في الاتجاه الخاص بضرورة ان يشكل الاسلام اساسا قوميا يمكنه التصدي للاتجاهات العلمانية التي كانت تتضمنها النزعات القومية الحديثة ، وكان محمد عبده في ذلك هينا لينا يريد الجامعة الاسلامية عن طريق التربية و التعليم .

[1]– عبد العزيز سليمان فواز– تاريخ الشعوب الإسلامية– دار الفكر العربي– ص221.

[2]– أسعد لهلالي– الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902,1993م– رسالة ماجستير–جامعة قسنطينة 2006–ص 84.

المبحث الثالث

جهوده الإصلاحية

المطلب الأول: إصلاح الأزهر

المطلب الثاني: إصلاح التربية والتعليم

المطلب الثالث: إصلاح أوضاع المرأة

المطلب الرابع: الإصلاح السياسي

المطلب الخامس: الإصلاح الاجتماعي

المطلب السادس: إصلاح اللغة

المطلب السابع: موقفه من أفكار جمال الدين الأفغاني

المطلب الثامن: موقفه من الثورة العربية

المطلب التاسع:موقفه من العقل والنقل

المطلب العاشر: محمد عبده والتقليد

المطلب الحادي عشر: إصلاحه للكتاتيب والمدارس الأميرية

المبحث الثالث : الجهود الإصلاحية

إن المفهوم المركزي الناظم لمشروع لشيخ محمد عبده هو الإصلاح أولا وأخيرا ،كما لا يخفى على الناظر في إعماله الكاملة انتظام كل المفاهيم والأفكار التي طرحها ودافع عنها حول الإصلاح وضروراته ،وان كان قد اتجه بنظره إلى الاجتهاد في معالجة قضايا عصره من منظور شمولي ، فقد حظي إصلاح الدين بمكانة مفصلة في تفكيره ،واعتباره تحريرا للفكر من قيد التقليد ،وفهم الدين على طريق سلف الأمة قبل ظهور الشيع والفرق ،حيث نذكر من الإصلاحات التي قام بها الشيخ ما يلي :

المطلب الأول :إصلاح الأزهر

لم تكن دعوة محمد عبده في إصلاح الأزهر جديدة، بل سبقتها محاولات كثيرة منذ إنشاء هذه المؤسسة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشرة. لكن الجديد في مشروع الإمام طبيعة رؤيته للإصلاح ،والحثيثيات التي انطلق منها ،والمقاصد التي توخى الوصول إليها فتجربة ثلاث سنوات في رحاب الأزهر أقنعته بضرورة إصلاح الأزهر الشريف ، لما لاحظ عليه من ضمور في منابع المعرفة ،وكسل عقلي لأصحابها أي علمائها وأساتذتها الذين هجروا العقل وأدواته ،وركنوا إلى التقليد والاستنكاف عن التأليف والاكتفاء بشرح الكتب القديمة ،وكتابة الحواشي على الشروح ،فباتت مناهجهم سجينة النواحي الدينية واللغوية ،والواقع أن الأعمال الكاملة للإمام تشهد على جرأته في نقد علماء الأزهر ، ودعوة إلى الاجتهاد في تجديد مضامينه فقد اخذ على الأزهريين جهلهم وضيق أفاقهم وتزمتهم في فهم النصوص الدينية وتمسكهم بحرفيتها وظاهرها ،دون الالتفات إلى جوهرها ، لذلك ارجع الإمام متابعة ما وصل إليه المسلمون إلى علمائهم بسبب قلة اكتراثهم بجوهرة العقيدة ،وانحباسهم في ظاهرها وقشورها ، وهو ما يفسر في الحقيقة انتقاده المستمر لتقليد والمقلدين واعتراضه عليه ودعوته الدائمة إلى الاجتهاد وتجديد، واستثمار العقل في الفهم والمعالجة بما لا يضر بتعاليم الله وأوامره .

ومع ذلك لم يتوقف انتقاد الإمام محمد عبده للأزهر عند طبقة علمائها وفقهائها، بل تعداه إلى برامجها وتكوينها وثقافة الإسلامية السائدة فيه ،غير أن ضعف الأزهر لم يكن وهن لأداء علمائها وطبيعة تكوينها فحسب ،بل يرجع في الواقع إلى أضعاف الاحتلال البريطاني ، الذي رسم سياسات وخططا ، أبرزها أحداث تعليم مدني بمعايير ومواصفات جديدة ، وعزل الأزهر عن المجتمع وتقديمها كمؤسسة غير منتجة للمعارف وتكوينات التي يحتاجها المصريون ،وخلق شقوق داخل المجتمع بين ثقافتين (تقليدية /عصرية)، ومن ثمة بناء اصطفاف بين نخبتين اجتماعيتين وسياسيتين .

وهكذا نرى كيف استثمر الشيخ محمد عبده هذا السياق ليصوغ رؤيته الاجتهادية المتكاملة لإصلاح الأزهر الشريف ، وهي كما أوضحها الإمام نفسه ،وأرخ لها من تولوا الكتابة عن تجربته ،خطة متكاملة الأسس والعناصر ،وليست رؤية تجزيئية أو قطاعية ،تسلح الشيخ بغية تحقيقها بمجموعة من الموجهات أهمها : أن يكون الإصلاح شموليا جامعا بين الشكل والجوهر ومحيطا بالجوانب الإدارية ،وتعليمية ،والمالية وصحية .....الخ .[1]

المطلب الثاني : إصلاح التربية والتعليم

تعتبر التربية عند الشيخ محمد عبده مفتاحا للفكر ،والبعد التربوي لديه مركز في منظومة مشروع الإصلاح الذي سعى إلى الاجتهاد في مداخله ومقاصده، حيث اختلف الكثيرون حول منهج الإمام في إصلاح التربية والتعليم ،والأدوات التي فكر فيها لأدراك مقاصد هذا البعد ، غير أن مشروعه الفكري يدرك أن ثمة منطلقات حكمت نظرته لقضية التربية وسبل تطويرها ،وبرغم من انسياقه المكره إلى السياسة إبان الثورة العربية ، فقد بقي مقتنعا بان تربية الإنسان وتأهيله ومداده بكل متطلبات الوعي ،هي الأولى قبل الانخراط في السياسة ومعاركها، اقتناعا منه بأهمية بناء عقل الإنسان وشخصيته وحرصا من جانبه على توفير شروط الاستعداد وتهيؤ

[1]– د محمد مالكي – المرجع السابق – ص 8 – 12.

لضمان إدراك المقاصد ،لذلك نرجح إن يكون هذا الفهم مفسرا لضعف حماسة الشيخ محمد عبده حول الثورة العربية بخصوص المطالبة بالدستور والمجالس النيابية ،وقيامة أسس بناء ديمقراطي عموما ،حيث تحدث عن مرشده جمال الدين الأفغاني المتعجب من جعل نبهاء المسلمين وجرائدهم كل همهم في السياسة ،وإهمالهم أمر التربية الذي هو كل شيء ،وعليه يبنى كل شيء ، أن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار عجيب لو صرفه ووجهه للتعليم والتربية لافادة الإسلام اكبر فائدة .

إلا أن لا يمكن نكران امتلاك الإمام مرجعية فكرية وجهته نحو السعي إلى قيادة حركة الإصلاح التربوي والعمل على ادراك مقاصده ،وهي أول وقبل كل شيء مرجعية فكرية مفعمة بوعي مستنير للإسلام وعقيدته ، ومؤسسة على رؤية واضحة تكونوا عليه عليه التربية والتعليم في بلد مسلم ، حيث يرى الشيخ في تجمع المسلمين وغيرهم من ديانات مختلفة اعمال مشتركة ،يتقاسمون عبرها الخبرات والمكاسب ،لذلك نراه يشدد في مذكراته على انه عندما سئم من التقاليد السائدة اخذ على عاتقه امرين ،الاول تحرير الفكر من قيد التقليد ،وفهم الدين عن طريق سلف الامة واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من احتمال تخبطه وانحرافه ،حيث ظل الامام منشدا الى المرجعية الفكرية الناظمة لكل مشروعه الاصلاحي ، اي اصلاح البلاد بإصلاح دين العباد، لذلك لم يتردد في التشديد في سياق دعوته الى اصلاح المدارس التجهيزية والمدارس العالية على نحو ما يطالب به دين ، ولعل ميزة مشروع الشيخ في الاجتهاد تساعد على اصلاح تربية المسلمين وتعليمهم وذلك بالاعتماد على الوسطية الاسلامية حيث لم ينكر دور العقل في سيرورة الاصلاح بل بالعكس اعطى لتفكير العقلي اهمية كبيرة واعتباره مفتاح السير على طريق نجاح الاصلاح ،كما اكد على ذلك في رسالة التوحيد، فالعقل عنده قادر على تيسير فهم قضايا الدين التي لم يتيسر فهمها والتصديق بها بالدين وحده ،وقد ابرز في اكثر من مقام كيف ان ما اصاب المسلمين من تأخر وجمود

راجع الى غياب الاجتهاد المستخدم للعقل ،والمستثمر لملكاته وامكانياته ،وبذلك يرى الشيخ مركزية استخدام العقل لتجديد العلوم الدينية واصلاح احوالها ،ولا يرى في ذلك ضيرا ولا مضرة ،لان الاسلام دين عقل ،والعقيدة تشجع عليه وتحث على أعماله .[1]

المطلب الثالث : إصلاح أوضاع المرأة

يشكل الاهتمام بواقع المرأة واوضاعها جانبا من جوانب المنظومة الاجتهادية الاصلاحية لدى شيخ محمد عبده ،حيث لم تكن قضية نصف المجتمع بل مسالة تحرر او سفور فحسب بل شكلت علاوة على ذلك واحدة من اكبر العوائق المفسرة لجمود المجتمعات وتأخرها ،لذلك لم يتردد الامام عبر خطبه ومقالاته ومقابلاته في الدعوة الى النهوض بواقع المرأة وتصحيح اوضاعها ، وقد سبقه في الحقيقة منادون ودعاة من قبيل رفاعة الطهطاوي ،وجمال دين الافغاني ،وعبد الله النديم .

حيث عاب الشيخ محمد على المسلمين عدم إنصاف المرأة وصيانة أوضاعها بقوله :(وقد صار هؤلاء الإفرنج الذين قصرت مدينتهم عن شريعتنا في إعلاء شان النساء يفخرون علينا ،بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء ،ويزعم الجاهلون منهم الإسلام أن ما نحن عليه هو اثر ديننا)،لذلك رأى الشيخ ضرورة إعادة التفكير في قضية المرأة من منظور إسلامي جديد ومتجدد بقدر ما يردها إلى الأحوال الاجتماعية في بلاد المسلمين الموسومة بالتأخر الفكري والمادي ، و ظمور العقل وتراجع مكانته ،فالدين عند الإمام بريء من جهل النساء وحجبهن عن الحياة العامة ،ومنعهن من التعلم وقصر دورهن من الإنجاب وخدمة البيوت ،بل الحقيقة عند الشيخ ان الإسلام حرر النساء من رق الجاهلية ،وأقام العدل بينهن وبين الرجال وحث على معاملتهن بما يحفظ لهن الرفعة والكرامة .

[1]– د محمد مالكي – المرجع السابق – ص 12– 16.

حيث تأسس فهم الإمام محمد عبده لقضية المرأة من منظور الإسلام على قاعدتين اثنين ،تتعلق الأولى بالدعوة إلى الرجوع للقران وما ذكره السلف الصالح ،فالقران كرم المرأة بتحريرها من ظلمات الجاهلية ، أما ماآلت إليه أوضاعها ، فأمر طارئ ابتلي به المسلمون من فهم طائفة من بني جلدهم للدين والعقيدة وليس لما قضى به الإسلام الحنيف وجاء من اجلهم لذلك يدعو الشيخ إلى وجوب تنقية الإسلام مما لصقت به من شوائب وتشوهات ،إما القاعدة الثانية فتخص الرد على ادعاءات المغرضين يان الاسلام هو سبب تأخر المسلمين ،الم يقل بكثيرة من الحسرة ،(والإفرنج يأخذون مطاعنهم في الإسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم بحقيقة الإسلام ،أن القران نضيف ،والإسلام نظيف ، وإنما لوثه المسلمون بأعراضهم عن كل ما في القران).[1]

المطلب الرابع :الإصلاح السياسي

لقد مارس محمد عبده السياسة مع أستاذ جمال الدين الأفغاني لكنه لم يداوم عليها وقد أيد أستاذه جمال الدين الأفغاني أيضا في فهمه للعلاقة بين الدين والسياسة لان هراهما يتعلقان يبعضهما ولا يتوازيان ضرورة ،وذلك لان ممارسة محمد عبده للسياسة كانت ممزوجة بأعمال الأخرى فنجده كتب في السياسة وقدم أراء ونظريات في أصول الحكم اشكالياته ،وقدم مطالب سياسية إلى الجهات معينة في عصره ، والقي خطبا سياسية وثورية أيضا وسط الثورة العربية كما شارك في حوارات سياسية ،ولكن لا يمكن إن يقول انه كان رجل سياسة بمعناها الاحترافي أو بمدلولها العلمي ، لان انشغاله بالمسائل الدينية والتربوية والقضايا الاجتماعية والثقافية قد طغت على إنتاجه الفكري ، وان كانت جل نصوصه لا تخلو من السياسة ،غير أن مواقفه السياسية اتجاه الاستعمار الغربي لم تكن ثورية عملا وسلوكا وان كانت مكثفة طبيعة وطموحا ،باستثناء بعض المواقف التي سجلت له ظروف مختلفة .

[1]– د محمد مالكي – المرجع السابق – ص 17 – 22.

لقد تميز المشروع الفكري التجديدي لمحمد عبده في المجال السياسي بالدعوة إلى مدينة الدولة والحكومة ، ونفي السلطة لدينية عن الحاكم ،ومناداته بحرية الفكر من قيد التقليد أي انه اهتم بتحرير العقل المسلم من اسر التقليد ،وربطه بالمنابع الإسلامية الصافية .

كما حاول أن يضع تفكير المسلمين في خط انسجام وتوافق مع المكتشفات العلمية وظروف العصر الحديث ،وكانت لجهوده وأفكاره أثارها في النهضة الإسلامية، وتأكيده على أهمية الحريات السياسية كحرية الرأي والانتخاب ورفعها إلى مستوى الحقوق المقدسة ،هذا بجانب انفتاحه على الحضارة الغربية .

كما لا ننسى انه قام بكتابة بعض المقالات السياسية منها واحدة بعنوان "المستبد العادل" وأخرى بعنوان "أثار محمد علي" وثالثة بعنوان "الرجل الكبير في الشرق" ثم كتابات متفرقة عن رفضه للاحتلال الأجنبي وكل ذلك جعل محمد عبده يحتل مكانة بارزة في الفكر السياسي الإسلامي ،العربي والمصري خاصة الفكر السياسي المتميز الذي قدم لنا دورا بارزا في الحركة الوطنية .

إن من أهم ما دعا إليه محمد عبده هو الإصلاح السياسي ،حيث نجده قائلا في هذا الصدد :" هناك أمر أخر كنت من دعاته ،والناس جميعا في عمى عنه وبعد عن تعقله ،ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية ،وما أصابهم الوهن والضعف والذل إلا بخلو مجتمعهم منه ،وذلك هو التميز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة " ،ثم يواصل في موضوع أخر فيقول :" ولم أكن في كل ذلك الإمام المتبع ،ولا الرئيس المطاع ،روح الدعوة وهي لا تزال بي في كثير من ما ذكرت قائمة ،ولا غير أني كتبت ابرح إلى عقيدتي في الدين ،وأقارب بإتمام الإصلاح في اللغة وقد قارب ،أما أمر الحكومة والمحكوم فتركه للقدر يقدره ،وليد الله بعد ذلك تدبره ،لأني قد عرفت انه ثمرة تجنيها الأمة من غراس تغرسه وتقوم على تنميته السنون الطوال ،فهذا الغراس الذي ينبغي أن يعني به الآن ،والله هو المستعان " .

ومن خلال هذه المقولات نجد أن محمد عبده قاوم المستبدين قولا وفعلا حتى اعتقلوه والقي به في السجن وتعرض للضرب والاهانة وعوامل معاملة قاسية مثل باقي غيره من المساجين .[1]

المطلب الخامس : الإصلاح الاجتماعي

مما لا شك فيه أن التربية لا تنمو ولا تستقيم إلا إذا كانت الظروف المحيطة بها محفزة ،مثلها كمثل البذرة التي لا يمكنها أن توجد إلا في ظروف مهيأة لها ،وهو أمر يوحي بان في المجتمع سلبيات قد تضر بالفرد ،ولهذا يقول بن عبد الوهاب " وأيا كأن تكون لك من أهل البدع ا خاو جليس أو صاحب " فانه جاء في الأثر :" من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ،ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام "، لأنهم سبب في إضلال الفرد وفساد خلقه ،وإذا أراد الفرد النجاة بنفسه وتعديل سلوكه ،لا بد أن يرتقي إلى الايجابيات الموجودة في المجتمع .

كما يؤكد على ضرورة إصلاح المجتمع باعتبار إن صلاح المجتمع وتربية أفراده ،لا بد أن نتبع تلك المسالة التي تنفرد بها التربية الإسلامية وهي مسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،فهذه الصفة هي ميزة الأمة عن باقي الأمم لقوله تعالى :((كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو امن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)).

فهذه الميزة ان وجدت ستؤدي إلى صيانة الإنسان وتطهير بيئته الاجتماعية من جميع الممارسات والثقافات التي تنقص إنسانية الإنسان وتنال كرامته .

من خلال ذلك يمكننا القول بان الشيخ محمد عبده قد استطاع بفضل عوامل مختلفة ،والتي كان لها اثر في تكوينه النفسي والعقلي والاجتماعي أن يدرك انحراف الناس عن مضمون

[1]– عائشة بن جلول – مذكرة حول الفكر الإصلاحي عند محمد عبده – مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر – نوقشت علنا بتاريخ : 2017/05/20 – السنة الجامعية 2017/2016 – ص 39–41.

العقيدة فكان لزاما إصلاح ما فسد لتكون دعوته واضحة المعالم ،فتربية كانت احد مجالات هذه الدعوة وميادينها ولذلك نلاحظ بان الفكر التربوي عنده قد ارتبط بالتوحيد .[1]

المطلب السادس : إصلاح اللغة

لقد قام محمد عبده بإصلاح أساليب اللغة التي كانت متداولة في زمنه ،سواءا كانت في المخاطبات الرسمية أو في المراسلات بين الناس ، حيث كانت أساليب الكتابة في مصر تتسم ب :

النوع الأول :ما كان مستعملا في مصالح الحكومة ، وهو ضرب من ضروب التأليفبين الكلمات الغير متجانسة ، والتي لا يمكن ردها إلى لغة من لغات العالم لا في صورته ولا في مادته .

النوع الثاني : ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر ، وهو ما كان يراعي فيه السجع وان كان باردا ، وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وان كان رديئا في الذوق ، بعيدا عن الفهم ثقيلا على السمع ، غير مؤدي للمعنى المقصود .[2]

وبالتالي فان منهج محمد عبده في الإصلاح اللغوي كان بتحرير اللغة من الشكليات ، الزخارف ، المحسنات والسجع الذي لا يضيف إلى المعنى شيئا ، ومن بين أهم أعماله تجديد شباب اللغة العربية بإصلاح أساليبها ، فكان عمله في إصلاح اللغة على درجتين :

إحداهما : إلقاء دروسه كلها باللغة العربية الفصحى الممتازة برشاقة التعبير وبلاغة التأثير.

والأخرى : مقالاته وكتاباته

لقد كان محمد عبده يرى أن أهم أهداف مؤسسات التربية والتعليم وأجهزة الثقافة توجه إلى إصلاح اللغة العربية وتطويرها ، فاللغة العربية هي أساس فهم الدين ، وان حياة المسلمين بدون

[1]– المرجع نفسه– ص 9 – 10.

[2]– محمد الصياد – الشيخ محمد عبده مولده وحياته وفكره (1849– 1905) – الموسوعة التاريخية الرسمية .

إصلاح لغتهم من المحال ، فإصلاح اللغة غاية ينبغي أن تعمل مؤسسات التربية وأجهزة الثقافة على تحقيقها لأنها وسيلة لإصلاح الدين .

إننا نجد أن مذهب الإمام محمد عبده الناقد في تحصيل مادة اللغة أنها تحصيل ملكية وليست بتحصيل قاعدة ومصطلحات ، لان دقائق الفصاحة والبلاغة وبراعة التعبير تحي الفهم ، وترك الأشياء بها موت للحياة العقلية ، فكان يقول دائما : ((إن الكلام البليغ سهل على الفطرة ، ولكنه صعب على كل عقل ، ولا قدرة للأديب على القصد في التعبير بغير توفير مادته من اللغة ، ولا خير في المبالغة ، فإنما يأتي بالمبالغة من كان مجازفا في رأيه ، والعقل السليم لا يتعدى الصدق)).

ولقد كان محمد عبده يرى بالإضافة إلى تجديد الأدب والعناية باللغة وتعليم فنونها وآدابها ، وإتقان الكتابة والخطابة ضرورة تحقيق إصلاح فوق هذا الإصلاح ، ومن ذلك تأليف المجامع والمعاجم وفلسفة البيان والانتقاد ، بل له دوره في حركة إنشاء الجامعة المصرية قبل وفاته ، مما أذن بتحقيق نهوض علمي وأدبي وقانوني وسياسي يتكامل في مصر وشام ، رغم ما سيطرد من سياسة الإعاقة الاستعمارية النكدة لتعليم في الشرق .

وبذلك أولى محمد عبده إصلاح أساليب اللغة العربية في المخاطبات الرسمية ، وفي الصحافة أهمية خاصة لان اللغة الصحيحة هي شرط تأدية المعنى المقصود ، وكما حرر التفكير من القيود التي جنت عليه ، حرر أسلوب الكتابة من قيود التكلف ، وبهذا أتاح للمفكرين والكتاب أن يكتبوا مطمئنين في فتاواه وأرائه .

أما فيما يخص العنصر الجوهري في كتابات محمد عبده الأولى هي الميل إلى الدعوة للعلوم العصرية ،وركز على تجديد اللغة وإصلاحها والاهتمام بالبحث في الأصول الدينية وقد صاغ هذه الموضوعات بأسلوب السجع الذي تخلص منه في الفترات اللحقة .

وبذلك نجد أن محمد عبده قد أسهم في تطوير أسلوب المقالة الصحفية ، وقام بتخليصها من أساليب الضعف في نهاية القرن التاسع عشرة ، والمرء يطمئن إلى هذا الحكم كل الاطمئنان ، إذا هو قارن هذه القسيمات بأبرز كتابين سبقاه في الكتابة الصحفية ، وهما رفاعة الطهطاوي ،وعلي مبارك ، فكلاهما كان يلتزم السجع ، وليس منهم من تقاس لغتهم بلغة محمد عبده السلاسة ، جزالة ودقة في استخدام قواعد اللغة العربية مع تطويعها كي تعبر عن الأفاق الرحبة لعقل الإنسان العربي الحديث .

وفي كل هذا كان محمد عبده الناقد البليغ يوقن أن اللغة مادة البلاغة وجمال التعبير ، وكان من شواغله الكثيرة شغل واحد لم تشغله عنه مهمة من مهام أعماله المتعددة التي تنوء بالعمل منها كواهل المنقطعين له والمتوافرين عليه ، وذلك الشاغل الواحد هو إحياء اللغة مادة ، علما ، دراسة وكتابة ، فكان يعين جماعة إحياء الكتب العربية بعلمه ، وقته ، ماله ، ونفوذه ، وكان ينشر نماذج البلاغة السلفية ويشرحها بقلمه أو ينوه بها في دروسه وتفاسيره من قبيل شرح نهج البلاغة ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني ، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وغيرها من الكثير .[1]

المطلب السابع : موقفه من أفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني

صاحب محمد عبده أستاذه جمال الدين الأفغاني زمنا طويلا ولكنه اختلف معه في أسلوب الإصلاح ، حيث كان حديثهما الذي لم ينتج عنه قرار حاسم يقضي بتكوين جمعيات أو منظمات علمية وتربوية ، أو سياسية للنهوض بالمجتمع الإسلامي من جموده وتأخره ، واكتفيا بتأسيس جمعية سرية ذات منهج سياسي ونظام داخلي صارم وهي " جمعية العروة الوثقى "، وإصدار مجلة في باريس بهذا الاسم ، لكن حديثهما الشهير عن الإصلاح بالتعليم في مقابل

[1]– إعداد عيسى مهني – المرجع السابق – ص 47 – 50.

الإصلاح بسياسة مازال يثير نقاشا غني الدعاة الإصلاح في كل زمان ومكان ، وهذا جزء من حديثهما :[1]

محمد عبده :أرى أن نترك السياسة ونذهب إلى مجهل من مجاهل الأرض لا يعرفنا فيه احد ،نختار من أهله عشرة غلمان أو أكثر من الأذكياء السلمي الفطرة ، فنربيهم على منهجنا ونوجه وجوههم إلى مقصدنا ، فإذا أتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين لا تمضي بضع سنين أخرى إلا ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد في سبيل الإصلاح ومن أمثال هؤلاء يرجي الفلاح .

جمال الدين الأفغاني :إنما أنت مثبط ، نحن شرعنا في العمل ولا بد من المضي فيه ما دمنا نرى منفذا .

إن هذا النقاش الذي دار بين الشيخين يبين الخلاف في طريقة وأسلوب الإصلاح والوسائل المحققة للإصلاح المنشود الذي اختلفت فيما بينهما ، وذلك أن انفصال محمد عبده عن جمال الدين الأفغاني كان أمرا محتوما في الغالب بحسبان الفارق بين عقلية الثائر وعقلية المربي ، وبحكم الزمن نفسه .[2]

المطلب الثامن : موقفه من الثورة العربية

في عهد الخديون توفيق الذي تولى السلطة عام 1296هـ/1879م واصل الاقتصاد تدهور وتذمر القطاعات المصرية في الجيش ، فاندلعت الثورة العربية عام 1298هـ / 1882م مطالبة

[1]– عبد الكريم بو صفصاف – إسهامات محمد عبده وعبد الحميد بن باديس في قضايا عصرهما – الأحد 22افريل 2012– على الرابط الالكتروني : http://www –302/benbadis/ Benbadis .net /research –and – studies . benbadis .

[2]– إعداد عيسى مهني – المرجع السابق – ص71 .

بإصلاحات كثيرة ، وقبلت تلك المطالب في البدء بموافقة الخديون أن مصالح الدول الغربية وخاصة بريطانيا دفعت بها للتدخل واحتلال مصر عام 1299هـ /1882م .[1]

ولقد كان لمحمد عبده دور في التحضير للثورة العربية –أو الفتنة الأخيرة كما سماها هو بنفسه ، ككل المفكرين بما يكتبون ويقولون ، فقد رفعه إلى الحياة السياسية في الأعوام الأخيرة من حكم إسماعيل تأثير الأفغاني وتردي أحوال مصر فشارك في هذه الفترة في قيادة الجمعيات السرية التي أسسها الأفغاني بمصر ،كما أسهم معه بتأسيس الحزب الوطني الحر الذي انظم إلى العرابيين عام 1881م ،حيث قاوم محمد عبده السلطات الأوروبية في مصر عدة سنوات ، فحينما احتل الانجليز مصر ناو أهم ، وشارك في مناصرة الثورة العربية .[2]

المطلب التاسع : موقفه من العقل والنقل

يدلنا استقراء التاريخ على أن هناك صراعا مستمدا بين العقل والنقل ، هذا الصراع يظهر بصورة واضحة في العصور المتخلفة وما حدث فيها من انهيار في جميع نواحي الحياة ، أيضا نجد هذا الصراع واضحا في العصور الحديثة ، وقد ترك رواسبه في الشرق الإسلامي ، حيث نجد العقل وقد تعرض للنقد والتجريح والاضطهاد من قبل ما يطلقون عن أنفسهم حماة الدين .

وقبل أن نشرع بالبحث في بيان مقام العقل والنقل في فكر الشيخ محمد عبده ، يلح علينا التساؤل لم الصراع بين العقل ونقل ؟

بادئ ذى بدء أقوال أن هناك عاملين إذا توافرا كان هناك استبعاد واضطهاد للعقل.

أولها :أن يتهيأ لرجال الدين سلطة تمكنهم من اضطهاد العقل وإيذاء رواده .

[1]– الشويخات احمد وآخرون : الموسوعة العربية العالمية : الرياض ، المملكة العربية السعودية ،2004

[2]– إعداد عيسى مهني – المرجع السابق – ص75–76

ثانيهما :أن يوجد عقل يقوي على اقتحام المنطقة المحرمة ، ويكتشف مجهول أو ينكر مألوف ،وعندئذ يصبح بفضل جرأته أهلا لاضطهاد خصومه .

لذلك فقد قامت حركات إصلاحية تنويرية في الشرق الإسلامي جعلت معولها العقل والشريعة السمحة لمواجهة كل فساد ، ومن هذه الحركات الإصلاحية تلك التي قام بها الشيخ محمد عبده والتي كان لها أثرها الواضح فشملت كل مناحي الحياة ، فهي دعوة لتحرير الفكر والعقل والمجتمع بأسره من ربقة التقليد والجمود .

محمد عبده بين العقل ونقل :

إذا كانت حركة الشيخ محمد عبده هي بمثابة تنوير ديني ، فأول ما دعى إليه أعمال العقل والرؤية والتأمل في كل ما يحيطنا من الداخل – التراث – ومن الخارج – المعاصرة ، على هذا كانت أهمية العقل عند شيخنا الإمام والذي كان يعتقد فيه ما قاله ديكارت انه اعدل الأشياء قسمة بين الناس ، ولكي يقيم صرح هذا العقل كان عليه ان يتخلص من تلك الأوهام أو الأوثان التي تقف حجر عثرة في سبيل قامة هذا الصرح ، فكانت هذه الأوهام بمثابة أمراض مستوطنة ومستشرية في المجتمع الإسلامي ، فكان لا بد من علاجها بواسطة العقل ، لكن هل بالفعل استطاع الأستاذ الإمام أن يتمسك بالعقل حتى نهاية المطاف ، أم انه تأرجح بين العقل والنقل ؟سوف نجيب عن هذا التساؤل من خلال عرضنا لهذه الأمراض وكيفية علاج الشيخ لها .

لقد أعلى الشيخ محمد عبده من شان العقل واستمد هذه المكانة من القران الكريم ، فالعقل مناط بالتكريم الذي كرم الله به الإنسان وفضله على كثير من خلقه فالإنسان كما عرفه أرسطو ((انه حيوان اجتماعي)) فهو يعيش في مجتمع لكنه لم يعطى من الإلهام والوجدان ما يكفي لهذه الحياة الاجتماعية ، فحباه الله هداية أعلى من هداية الحس والإلهام وهي العقل ، وهي العقل ، لذلك فان أول أساس وضع عليه الإسلام و النظر العقلي ، والنظر هو وسيلة الإيمان الصحيح .

بل أكثر من ذلك نجد الإمام وقد وضع العقل في مكانة رفيعة ، حيث بين انه إذا تعارض العقل والنقل نأخذ بما دل عليه العقل ، أو ناول النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حيث يتفق معناه مع ما أثبته العقل ، فلقد تآخى العقل والدين لأول مرة في الكتاب المقدس على لسان النبي المرسل في تصريح لا يقبل التأويل ، لقد جعل الإمام العقل شرطا أساسيا في صحة الإيمان ، من هنا نستطيع القول بأن ((أعقل كي تامن)) من أهم القضايا التي امن بها محمد عبده ، فالمرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به .

هذا أن دل على شيء إنما يدل على رفض الشيخ الإمام التقليد ،فرفض التقليد هو أول أعمال العقل وهنا يظهر أول مرض من الأمراض التي عالجها الأستاذ الإمام .[1]

المطلب العاشر : محمد عبده والتقليد

تحرير الفكر من قيد التقليد كان واحد من أمرين دعا إليهما الشيخ محمد عبده بل نجده وقد بين خطورة التقليد على الإيمان فبين أن نوعين من الإيمان أولهما : إيمان الاعتقاد وهو ذلك النوع الذي ينشا عن التقليد وقلما ينشا عنه العمل ، اما النوع الثاني فهو إيمان الإذعان الذي ينبه النفس دائما إلى ما تذعن له فيبعثها دائما إلى العمل به .

لقد حاول محمد عبده أن يضع تيارا جديدا حاول من خلله التخلص من تياريه انتشارا في المجتمع وهما تيار التقليد والجمود القابع على صدود والذي استقطب العديد من أبناء الأمة ، كذلك التخلص من تيار التغريب الذي لا يقل خطورة عن التيار التقليدي والذي استقطب بدوره مثقفي الأمة الذين انبهروا بالغرب وفيما أرى أن نشأة هذه التيارات التقليدية –سواء كان تقليدا للقديم أو للجديد – كانت ردة فعل ضرورية للازمة التي كانت تعيشها الثقافة بوجه عام من خلال مؤسساتها المتعددة والتي كانت هي نفسا – مؤسسات – تبث تلك التيارات الخطيرة على

[1]– عبد الرحمان محمد بدوى – الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية – ص 5– 7.

المجتمع فالأزهر والمدارس الأميرية– تمثل التيار التقليدي الجامد – والمدارس الأجنبية– تمثل التيار التغريبي، من هنا كان لابد من قيام تيار معتدل ، هو الذي يطلق عليه التيار السلفي العقلاني ذلك التيار الذي نادى به الأستاذ الإمام .

وبناء على الثورة التي أشعلها الشيخ الإمام على التقليد والمقلدين كان لزما عليه أن يكشف عن مشروعه التنويري والذي من خلاله يقضي على الآفة الكبرى – اعني التقليد أنأهم ما في مشروعه هو الإصلاح الشامل لكل مناحي الحياة وأولها إصلاح التعليم .[1]

المطلب الحادي عشر : إصلاحه للكتاتيب والمدارس الأميرية

لقد كانت نضرة الإمام للتعليم نظرة شاملة كاملة تشمل كل جوانب العملية والعلمية ، وهذا الاتجاه الإصلاحي للتعليم شمل أقطار كثيرة فنجده وقد وضع لائحة لإصلاح التعليم العثماني ، وثانية لإصلاح التعليم في القطر السوري ، بالإضافة إلى وضعه مشروعا متكاملا لإصلاح التعليم في مصر ، وبين انه إذا كان الأزهر يحتاج إلى إصلاح ، فلا بد أن ترجع المسالة التعليمية إلى بدايتها ،فننظر إلى التعليم في الكتاتيب باعتبارها المكان الذي يلتقي فيه التلميذ لأول مرة بالتعليم ومن ثم لا بد أن نجعل البداية صحيحة كي تستقيم العملية التعليمية ، فإذا كانت البذور صالحة لا بد وبالضرورة أن يستوي العود وتطرح ثمارا جيدة .

نظرا أيضا إلى المدارس الأميرية والأجنبية والكتاتيب الأهلية والمدارس التجهيزية أليا وأيضا دار العلوم تلك الدار التي كان يجب أن يكون خريجها أستاذا في العلوم العربية والدينية ، إلا أننا لا نجد خريجها أهلا لتحقيق هذا الهدف ، ويرجع ذلك الى القائمين عليها ،فلا يقيمون عليها من النظار إلا جاهلا بالدين واللغة العربية، وعلى ذلك فقد وضع خطة للإصلاح، هي خطة نحن لان في أمس الحاجة إلى تحقيقها وتطبيقها على نظامها التعليمي المعاصر .

[1]– عبد الرحمان محمد بدوى – المرجع السابق – ص 7 –8.

فخطته تهدف أولا وقبل كل شيء إلى حذف الحشو الموجود في المناهج ، وإضافة علوم جديدة يستفيد منها التلميذ ، كذلك عدم معاملة التلميذ بقسوة والاهانة حتى ننمي فيه الكرامة والاعتزاز بالنفس ، كذلك النظر في القائمين على التدريس ومراقبتهم وان نبث في نفوسهم حب هذه المهنة وان يجعل همه الأكبر هو مستقبل الجيل الذي يعلمه وليس الحصول على الراتب الشهري ، فلكي تصح العملية التعليمية وتحقق هدفها الذي يجب يتمثل في الحياة كريمة للإنسان بما هو إنسان له كينونته وذاتيته المتميزة عن الأخر ، وتجعله صاحب نظرة في كل ما يحيطه ، وبذلك يصبح – ليس كما قال محمد عبده –آلة للصانع – الذي هو الحاكم –أو البدن للرأس– التي هي الحاكم أيضا– بل أقول ليصبح الإنسان هو الآلة والصانع ، والبدن والرأس في أن واحد .

هذه إذا نظرة عقلية متفهمة لطبيعة التعليم ، ولكن مما يؤخذ على الشيخ الإمام والذي يؤكد على وجود مسحة محافظة على فكره أن عاب على المسلمين أولادهم إلى المدارس أجنبية طمعا منهم – كما يقول الشيخ –في تعليمهم علوم مضنون في نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات التي يحسبونها ضرورية لسعادتهم في مستقبل حياتهم ، وكأنه هنا يقول انه لا ضرورة من تعليم اللغات في الوقت الذي تعلم هو نفسه اللغة الفرنسية ، ورأى أن تعلمها شيء ضروري ، فلكي تأمن عدوك لا بد أن تعرف لغته كي تعرف كيفية تفكيره ، وقد برز الشيخ محمد عبده موقفه هذا بأنه يخاف على الدين وان دخول هؤلاء التلاميذ تلك المدارس يمثل خطرا على العقيدة ، وأنا لا اعتقد ذلك فان العلم والمعرفة لا خطورة منها على الدين ما دام هناك مراقبة وتوجيه أولادهم وإرشادهم .[1]

[1]– عبد الرحمان محمد بدوى – المرجع السابق – ص 10– 11.

الـــخاتمة

الخاتمة:

نحمد الباري سبحانه وتعالى الذي وفقنا لما قدمناه فنضع قطراتنا الأخيرة بعد المشوار الذي خضناه بين تفكر وتعقل في موضوع (الشيخ محمد عبده حياته وجهوده الدعوية والإصلاحية) لأجل توضيح ما قمنا به، فقد كانت رحلة ممتعة وجاهدة للارتقاء بدرجة الفكر والتعقل ولم يكن هذا بالجهد القليل، ولا نستطيع أن ندعي فيه الكمال ولكن لنا عذرنا أننا بذلنا فيه عصرة جهدنا.

ومن خلاصة ما قراناه وفهمناه وحللناه نستنتج ما يلي :

- يعد الإمام محمد عبده واحداً من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث وأحد دعاة النهضة العربية الإسلامية الحديثة.

- ولد الإمام عام 1849م بمصر، درس على يد مشايخ عدة ومن أبرزهم جمال الدين الأفغاني، ودرس بالأزهر كما كانت له رحالات عديدة لتلقي العلم سوريا تونس بيروت...

- كانت حياته كلها جهاد ونضال فتم نفيه من بلاده لفترة دامت سنوات، وقد شغل عدة مناصب عمل فكان معلما ومفتيا وصحفيا وقاضيا.

- ركز الشيخ في دعوته على أمرين الأول تحرير الفكر من قيد التقليد والثاني إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير.

- اهتم الشيخ والإمام محمد عبده بالعديد من القضايا الإصلاحية فقد كانت له اليد في إصلاح التربية والتعليم والأزهر وكذا وإصلاح وضع المرأة والوضع السياسي والاجتماعي، وقد كانت له مواقف من ظاهرة التقليد والعقل والنقل ومن الثورة العربية وغيرها.

- تميز الشيخ عن غيره بنهجه في تفسير القران وتعامله مع الأديان الأخرى وفي فتاواه والممارسات الدينية بظاهرة التجديد والربط بالواقع المعاصر ولهذا لقب بالمجدد في الفقه الإسلامي كما كانت له مساهمة في إنشاء الجامعة الإسلامية.

- توفي الشيخ الإمام في 11 جويلية 1905م بالإسكندرية بعد معاناته بمرض السرطان.

- فإن وفقنا الله فإصابة ما هدفنا إليه وإن أخطأنا، فلقد نلنا شرف المحاولة والتعليم، وبعد أن أبحرنا في هذا المجال الممتع ونأمل من الله أن ينال قبولكم وان يلقى الاستحسان منكم ويحظى هذا البحث مستقبلا بمزيد من العناية والتقصي، وصلي اللهم وسلم تسليما كثيرا على سيدنا وحبيبنا أشرف خلق الله محمد وأصحابه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

قائـمـة المصـادر والمراجع :

القرآن الكريم.

01- محمد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده و آلياته في تطوير التعليم.

02- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، ج1 في تفسير القران الكريم، ط1 (1414هـ-1993م)، دار الشروق.

03- عبد الرحمان محمد بدوي، الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية.

04- جامعه السيد محمد رشيد رضا(منشىء مجلة المنار)، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، ج 3، ط2، دار الفصيلة.

05- ألبري حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عزقول، مطبعة النهار للنشر، بيروت 1968.

06- سليمان بن صالح الخراشي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة (دراسة إسلامية سلفية لكتب ومقالات د.محمد عمارة)، دار الجواب 1993.

07- أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي (الموسوعة الإسلامية)، مج 4، ط 3، دار الكتاب اللبناني، بيروت1983.

08- محمد نور الدين جباب، اشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر، رسالة دكتورا، جامعة الجزائر.

09- عيسى مهني، محمد عبده ومواقفه من قضايا عصره (1849-1905م)، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر- بسكرة، قسم العلوم الإنسانية - شعبة تاريخ (1435هـ-2014م).

10- زيلوخة بوقرة، سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رسالة ماجستير، جامعة باتنة.

11- محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الاسكندرية.

12- محمد صالح محمد السيد، إعادة بناء التوحيد عند الأستاذ الإمام محمد عبده، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

13- عبد الله محمود شحاته، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القران الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة1963.

14- محمد السيد جبريل، منهج المنار في تفسير القران الكريم، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث، القاهرة، 8- 9 أكتوبر 2002م.

15- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهج العرفان في علوم القران، كتاب إلكتروني.

16- عبد العزيز سليمان فواز، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي.

17- أسعد الهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1993-1902م، (رسالة ماجستير)- جامعة قسنطينة 2006م.

18- محمد عبد الهادي علام، كتاب الأهرام، اصدر العدد الأول في أغسطس 1876، تاريخ النشرالخميس1 ذي القعدة 1437هـ - 4أغسطس 2016م.

19- أحمد كلحة، قسم المقالات قائمة الإمام محمد عبده، الأحد 31 مارس 2013م - 4:31 صباحا.

20- محمد مالكي، الاجتهاد الإنشائي عند الشيخ محمد عبده، ورقة مقدمة في الندوة الفقهية السنوية مسقط :5- 8 أبريل 2015، كلية الحقوق، جامعة السلطان قابوس، مسقط- عمان.

21- عائشة بن جلول، مذكرة حول الفكر الإصلاحي عند محمد عبده، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، نوقشت علنا بتاريخ :2017/05/20، السنة الجامعية 2017/2016.

22- محمد الصياد، الشيخ محمد عبده مولده وحياته وفكره (1849- 1905)، الموسوعة التاريخية الرسمية.

23- الشويخات أحمد وأخرون، الموسوعة العربية العالمية، الرياض، المملكة السعودية، 2004م.

المواقع الالكترونية:

01- الشيخ شريف، الإمام محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث، على الرابط الإلكتروني: http./www.ahlamontada.com/ar/phpp الثلاثاء 23 فيفري 2010، 11:43.

02- عبد الكريم بوصفصاف، إسهامات محمد عبده وعبد الحميد بن باديس في قضايا عصرهما، على الرابط الإلكتروني : http.//www.penbadis.net/research-and badis.html studias /ben badis/302.ben.

03- محمد عبده عالم دين، ويكيبيديا، على الرابط : ar.m.wikepedia.arg.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى الصفحة

شكر وعرفان .....

الاهداء.....

مقدمة:..... ب

المبحث الأول: سيرة الشيخ محمد عبده

المبحث الأول: سيرة الشيخ محمد عبده 7

المطلب الأول: عصره..... 7

الفرع الأول: واقع الحياة الاجتماعية 7

الفرع الثاني : واقع الحياة السياسية 8

الفرع الثالث : واقع الحياة الاقتصادية 10

الفرع الرابع: واقع الحياة الفكرية..... 11

المطلب الثاني: مولده ونشأته 13

المطلب الثالث: حياته العلمية..... 14

الفرع الأول: طلبه للعلم..... 14

الفرع الثاني : رحلاته..... 16

الفرع الثالث : شيوخه..... 20

الفرع الرابع : تلاميذه 20

المطلب الرابع: حياته العملية(أهم المناصب التي شغلها) 21

الفرع الأول :قبل عودته إلى مصر 21

الفرع الثاني :بعد عودته إلى مصر 22
المطلب الخامس : وفاته وأثاره..... 24
الفرع الأول : وفاته 24
الفرع الثاني: أثاره..... 26

المبحث الثاني : الجهود الدعوية

المطلب الأول: الفتاوى..... 29
المطلب الثاني: الممارسات الدينية..... 30
المطلب الثالث: تفسير القرآن الكريم..... 36

المبحث الثالث : الجهود الإصلاحية

المطلب الأول :إصلاح الأزهر 46
المطلب الثاني : إصلاح التربية والتعليم 47
المطلب الثالث : إصلاح أوضاع المراة..... 49
المطلب الرابع :الإصلاح السياسي..... 50
المطلب الخامس : الإصلاح الاجتماعي..... 52
المطلب السادس : إصلاح اللغة..... 53
النوع الأول :..... 53
النوع الثاني : 53
المطلب السابع : موقفه من أفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني..... 55
المطلب الثامن : موقفه من الثورة العربية 56
المطلب التاسع : موقفه من العقل والنقل..... 57
المطلب العاشر : محمد عبده والتقليد 59

المطلب الحادي عشر : إصلاحه للكتاتيب والمدارسالأميرية..... 60
الخاتمة:..... 63
قائمة المصادر والمراجع :..... 66
فهرس المحتويات..... 70